

## السيرة النبوية لابن هشام

تحقيق طه عبد الرؤوف سعد

من صفحة 11 - 86

المجلد الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

**المقدمة**

**بقلم المحقق**

**ما هو التاريخ :** التاريخ هو رصد حركة الإنسان على هذه الأرض ، وهذه الحركة تسمى "الصراع" وأنواع الصراعات كثيرة أهمها وأقدمها "الصراع البشري" أي صراع الإنسان مع أخيه الإنسان ، وذلك منذ هبوط آدم - عليه السلام - على الأرض ، قال تعالى { قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ } [طه : 123] ومنذ أن هبط ممثلا البشرية على الأرضى آدم وحواء عليهما السلام ، ومع أول صدام بين الإنسان وأخيه متمثل في حادثة قتل قابيل لشقيقه هابيل ، وبعدها وإلى الآن ، سجل لنا التاريخ عبر الأزمنة الكثير من هذه الصراعات المتزايدة بين البشر مع اختلاف الحوادث وتطور الأحداث ، بين أن يكون صراعا لإحقاق الحق أو صراعا لإثبات باطل .

وبما أن التاريخ هو الذاكرة البشرية، تلك الذاكرة التي تميز بها الإنسان على سائر المخلوقات ، فإن الإنسان هو الكائن الوحيد على هذه الأرض ، الذي له تاريخ يحفظه ويستفيد من عبره لحاضره ومستقبله ، ودليل ذلك التطور المذهل في حفظ تاريخه .

فقد كان الإنسان البدائي يستخدم الذاكرة في قص القصص الممتزج

بهالةٍ من الأساطير والخرافات ، التي تُبرز موضوع قصته ، وخاصة عن أسلافه ، ثم تطور إلى تدوين هذا القصص وخاصة المفاخر والأمجاد. وكلمة تدوين تشمل العديد من الأساليب منها النقش والرسم ، وبعدها الكتابة بمفهومها العام ، ولغاتها المتعددة، وطرقها المختلفة، وأساليبها المتميزة.

وبما أن التاريخ عبارة عن خزانة الشعوب والأمم التي تحفظ بها أخبارها وحضارتها عن طريق التدوين بم فإن العرب أيام الجاهلية لم يلتفتوا إلى أهمية التاريخ بمفهومه الآن؛ بخلاف بعض المخلفات التاريخية التي وردت لنا من خلال روايات الأنساب التي حفظت لنا بعض أحداثٍ وقع ذكرها في ثنايا حديث النسّابين ، وكان هذا في الفترة التي سبقت مطلع الفجر الإسلامي، وإن كانت قد تجلت بصورة أجمع في مبدأ الدعوة .

ورغم أن المسلمين الأوائل كانوا يعرفون مميزات التاريخ في حفظ أمجادهم ، إلا أنهم انشغلوا بصنع هذا المجد عن تدوينه ، وتناسوا تاريخ جاهليتهم الذي نظروا إليه نظرة عار وانحطاط أخلاقي وديني لا يستحق التدوين كالسلب والنهب وواد البنات وما إلى ذلك . وإن كان للعرب في الجاهلية مكارم لا تُنسى كالكرم والشجاعة في محلها، و العفة والفروسية . أيضاً كان انشغال الصحابة بالجهاد والفتوح عن جمع الأخبار وكان لا بد من أن يقوم بهذه المهمة، خاصة بعد أن رسخت القاعدةُ وبدأ البناءُ الحقيقيُّ للهيكَل الإسلامي ، وانتشار الدعوة، ووضع الأسس والقوانين السماوية، وأصبح وضع المسلمين في حالة تمكنهم من التروّي والاستقرار، فالتفت إلى هذا فريق من التابعين الذين كانوا يعتمدون في

جمع مادتهم على سؤال مَنْ شاهدوا الغزوات من الصحابة وَمَنْ صاحب الأحداث التي وقعت للمسلمين في عهدِ صاحبِ الرسالة - صلى الله عليه وسلم.

**الشكل التقليدي للتاريخ عند المسلمين الأوائل :** ولكن الشكل التقليدي للتاريخ في أبسط صورهِ ظهر على تلك الصورة في العصر الأمويّ ، غير أن مؤرخي بني أمية لم يعنهم من التاريخ إلا ما دعتهم إليه أسباب المحافظة على أركان الدولة : من ثناء وإطراء بمن اشتهر منهم ، أو تحقيق لرواية نسب من الأنساب . يكون فيها صالحٌ لدولتهم ، وإن كان المدافع إلى ذلك في أغلب الأحيان هو الرغبة في العطاء..

ومما يؤسف له أنه لم يصل إلينا من هذا التاريخ شئٌ إلا ما تناثر في بطون بعض كتب الأدب ، نقلاً عن الرواة، وقد يرجع ذلك إلى أسباب الاضطرابات والفتن في عصر بني أمية.

ولعل العباسيين قد تعمدوا إزالة آثار الأمويين ، أو لعل الناس قد هجرت تلك الكتب وأهملتها مجاملةً لرأي بني العباس .

على أن التاريخ الإسلامي في حقيقة أمره ، لم يتمهد له السبيل إلا في العصر العباسي ، حيث ظهرت بوادر التأليف في التواريخ العامة والخاصة . وإن كان الواقع يهيب بنا أن نشير إلا أن أول كتابٍ ظهر وفيه لمحاتٌ تاريخيةٌ هو "**القرآن الكريم**" وقد تجلّى ذلك في استخراج العبرة من بعض الحوادث التي وردت في آيات الله البينات .

### **مفهوم السيرة :**

ويرادُ بسيرة رسول الله صلوات الله وسلامه عليه : التعرفُ على حياته ، من ظهور الإرهاصات التي مهدت لرسالته ، وما سبق مولده من

سمات تُلقى أضواءً رحمانيةً على طريق الدعوة المحمدية، ومولده ونشأته حتى مبعثه .

وما جاء بعد ذلك من دعوة الناس إلى الدين الحنيف ، وما لقي في سبيل نشر الإسلام من معارضة ، وما جرى بينه عليه الصلاة والسلام وبين من عارضوه من صراع بالقول والسيوف ، وذكر من استجاب له حتى علت راية الحق وأضاءت شعله الإيمان .

وقد عُرفت تلك الحروب بالغزوات والسرايا، وإن غلب عليها لفظ المغازي " أي الحروب التي اشترك فيها الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالقتال " ، ولكن هذا الاسم تطور مع الزمن ، حتى شمل معناه تاريخ حياة النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة، رضوان الله عليهم ، ومن الأرجح أن كلمة " مغازي " كانت تشير إلى حياة النبي في المدينة المشرفة فقط ، وذلك لأن المدينة هي التي شهدت فترة الغزوات والقتال بين المسلمين وغيرهم من أهل الشرك . ثم اتسع نطاق هذا اللفظ شمل سيرة النبي - صلى الله عليه وسلم - بأكملها .

### **الدواعي إلى جمع السيرة :**

عندما أخذ علماء الإسلام في جمع القرآن الكريم وتفسيره ، وجمع الأحاديث ووجدوا أنفسهم في حاجة إلى تحقيق أماكن نزول الآيات ، وإيضاح حقائق الأحداث التي جرت ، وكذلك بالنسبة لجمع الأحاديث ، والتشريع بالحلال والحرام في أقوال وأعمال الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأيضاً أقواله في التشريع والتفسير والمواظ ، فكان لا بُدَّ من الرجوع إلى جمع السيرة النبوية أولاً ، لأنها المنبت الخصبُ لذلك كله ، والمرجعُ الصادقُ في هذا الشأن .

## القرآن الكريم والسيرة :

جاء الإسلام ليمحي الجهل والتخلف ، فقد كان العرب قبل الإسلام غارقين في جاهليتهم ، فأحدث القرآن الكريم بنزوله . هزةً في أعماق جهلهم ، واستمر في هزّ سباتهم وجهلهم ، حتى قلب الأمر رأساً على عقب ، ليضئ نور العلم والمعرفة .

وكما نعرف جميعاً أن أول ما نزل الوحي على النبي الأمي أمره : { **اقْرَأْ بِأَنْعَمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ** } [العلق: 1] وبحثه على العلم والمعرفة بقوله : { **الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ** } [العلق: 4] إشارة إلى محو الجهل بنور العلم والقراءة والكتابة .

لذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يشجع المسلمين على محو أميتهم فنجده في غزوة بدر يفدي بعض الأسرى الذين يكتبون أن يعلموا عشرة من صبيان المدينة الكتابة .

وكان القرآن الكريم وجواره السنة النبوية الشريفة مصدرين أساسيين للتاريخ الإسلامي ، خاصة ما اتصل بالسيرة النبوية، وجوار السيرة كان القرآن يرصد لنا للعبارة بعض القصاص البشري بصفة عامة، أي أن التاريخ القرآني يعد تاريخاً لكل البشر والبشرية .

وقد رصد لنا القرآن تاريخ النبي بصفة خاصة من خلال بعض الآيات القرآنية، وأحياناً كان يشتمل على سورة بأكملها كسورة الأنفال . تشير إلى سيرة النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه .

ومثالاً على التاريخ القرآني للسيرة تلك الآيات التي تحكي تاريخ الدعوة . فقد أمر الله تعالى نبيه - بعد نزول الوحي - الأمر الأول بالدعوة بقوله تعالى : { **يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ \* قُمْ فَأَنْذِرْ** } [المدثر 1 ، 2] ثم أمره بعلانية

الدعوة بقوله : { وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ \* وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ } [الشعراء:214-215] { قَاصِدَعٌ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضُ عَنِ الْمُشْرِكِينَ } [الحجر:94] ونجد في سورة " عبس " تصف لنا الآيات رد فعل المشركين تجاه ما يدعو إليه النبي وتجسد لنا ما تعرض له محمد وأصحابه من الأذى وتعنت الكفر. والآيات تحت النبي وأصحابه على التحلي بالصبر. ويستمر القرآن الكريم يعرض سيرة النبي : من هجرة المسلمين معه إلى المدينة، والإذن لهم بالقتال ووعدهم بالنصر على المشركين بقوله تعالى : { أذنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ \* الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ... } [الحج : 39-40] وهنا نجد الآية تحمل لنا خلفية تاريخية توضح لنا حال المسلمين .

ثم نزلت الآيات ترصد الغزوات ففي غزوة بدر نزلت سورة " الأنفال " وفيها نُصح للمسلمين بألا يختلفوا بشأن الغنائم ، وتشرح للمسلمين كيف تقسم هذه الأنفال ، وتحذره من الخلاف عليها، وأكثر من ذلك حيث عرضت لنا صورة حية لحال المسلمين والأسرى.

ونزلت مواضع من سورة " آل عمران " أيضاً لغزوة بدر وغزوة أحد حيث خفت على المسلمين ، ووبخت مَنْ عَصَى أمر الرسول ، وتشد من أمر المناضلين ، وتُوعِد الشهداء بأنهم أحياء عند ربهم يُرزقون ، وأن لهم الجنة.

وفي غزوة الأحزاب تنزل سورة " الأحزاب " صورة كاملة حية لهذه الغزوة حيث صوّرت ما دار في فترة الحصار، وحال الأحزاب ، وموقف اليهود والمنافقين .

وفي مراحل الغزو الأخيرة في آخر حياته -الشريفة صلى الله عليه وسلم ، تنزل سورة " براءة " .

وفي سورة " النصر " أيضاً : { إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ } [النصر:1]  
حيث بُشِّرَ المسلمون بالنصر وفتح مكة، وحلولِ عصرِ الفتوحاتِ الإسلامية المتوالية .

إن هذا العرض المبسط محاولة لإلقاء الضوء على أهمية القرآن الكريم كمصدرٍ أساسى لتاريخ سيرة الرسول - صلى الله عليه وسلم - والمسلمين من الصحابة سواء في مكة أو المدينة، أو المغازي والمواقف الذي اصطدم فيها المسلمون مع المشركين أو اليهود والمنافقين ، وأيضاً المواقف التي تُهم المسلمين خاصةً، وأرشدتهم للطريق القويم وموقف الرسول - صلى الله عليه وسلم - من ذلك وذلك .

### **أهمية السيرة النبوية لكل البشر :**

إن سيرة النبي - صلى الله عليه وسلم - تمتاز بصفات تجعلها تنصبُ في المكان الأول بين سير التاريخ ، ومن أهم تلك الصفات أنها سيرة تاريخية بمفهومها العام ؛ ومن كونها موثقةً بكتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

وكون سيرة محمد - صلى الله عليه وسلم - تاريخيةً يُقويها لدى مرديها، أن السيرة الخرافية الأسطورية لا تلقى أيَّ اهتمام لدى السامع أو القارئ . أما سيرة النبي - صلى الله عليه وسلم - فسيرةٌ يشهد لها المحققون والثقات من الرواة، لذلك نجد الناس يهتمون بها اهتماماً ليس فيه رعونة أو ضياعٌ لوقت فراغهم ، بل يشغفون بها لكونها حقيقةً ثابتة راسخة في وجدان التاريخ .

ومن أغراض الاهتمام بالسيرة النبوية أن يتصور المسلم من خلالها

الحقيقة الإسلامية الكاملة المتمثلة في حياة النبي - صلى الله عليه وسلم - لأنها سيرته أعظم البشر وأصلحهم خاتم النبيين ، فهو مُنذر ومبشر وداع - وسراج منير، وهو أيضاً جامع لكل الصفات الحميدة، التي جعلت سيرته متميّزاً عن غيرها، وأن تكون مثلاً أعلى للبشر كافة، وإلى جانب تلك الصفات ، أنه أدّى الأمانة وبلغ الرسالة الأخيرة التي بعثه الله عزّ وجلّ بها إلى العاملين ، فجاء بالشرعية التي لا يحتاج الفرد إلى غيرها لذلك فإن سيرته - صلى الله عليه وسلم - عطرة خالدة حتى يوم القيامة .

وإن شخصية محمد - صلى الله عليه وسلم - بما لها من صفات جامعة وعادات نبيلة عالية فقد بُعث ليتمم مكارم الأخلاق ، لذلك تعلق المسلمون بسيرة نبثهم لِمَا فيها من أسوة حسنة ومثلاً أعلى قال تعالى : { لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا } [الأحزاب: 21] .

ولن نخوض في ذلك المجال أكثر من ذلك لأن أهمية السيرة لها جوانب عدة تحتاج إلى دراسة خاصة واسعة النطاق تتناسب وشخصية ومكانة صاحب السيرة - صلى الله عليه وسلم -

### محمد نبي الإسلام :

الشاهدُ على تعاليم الله وهدايته ، ومبشر الصالحين بالجنة، ومُنذر الكافرين الغافلين ، ومحدّر المذنبين ، وداعى الصالحين عن الحقّ والعدل ، نور ومصباح يُستضاء به في الظلمات للسائرين والقلوب الغافلة . قال تعالى : { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا \* وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا } [الأحزاب : 45-46] إن شواهد القرآن الكريم على الشمائل النبوية والخصائل المصطفوية - على صاحبها الصلاة والسلام - كثيرة ولا يغفل واحدٌ منها أن يشير إلى مكانة محمد - صلى الله عليه وسلم - بين الرسل يقول تعالى : { تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ } [البقرة: 253] ولأخلاق النبي إشارة قرآنية كريمة أيضاً قال تعالى : { وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ \* وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ } [القلم : 3-4] .

ومن خصائله رفق القلب والرفقة والكرم قال تعالى : { قَبِيْمًا رَحْمَةً مِنْ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَطًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ } [آل عمران : 159] . وقد أشار القرآن الكريم إلى حرص النبي - صلى الله عليه وسلم - على نشر الدعوة، وخوفه على قومه ، ورأفته عليهم ورحمته بقوله تعالى : { لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ } [التوبة : 128]

هذه بعض الآيات التي شهدت على مكارم أخلاق النبي وفضله وخصائله . وهناك أيضاً وجه آخر من غير المسلمين وصلته السيرة النبوية فأبهرته شخصية محمد - صلى الله عليه وسلم - فلم يلتفت إلى التعصب المذموم بل حайд وقال ما يشعر به في مدح النبي - صلى الله عليه وسلم - ومن هؤلاء على سبيل المثال : " الفونس لامارتين " الذي أشار إلى عظمة النبي - صلى الله عليه وسلم - في مقدمة " تاريخ تركيا " ولا يسعنى هنا أن أنقل كل ما كتب لكني ألقى الضوء على بعضها قال لامارتين :

"أبدأ لم يبدأ إنسان بمثل هذه الوسائل الضعيفة عملاً فوق طاقة البشر، لأنه لم يجد في تصميم هذا المقصود ولا في تنفيذه آله غير نفسه الوحيدة، ولا أنصاراً غير بضعة من البدويين في كنف الصحراء".



" أكان هذا الرجل ، حَدَّاعاً مُدَّعِياً كاذباً ؟ لا نظنه هكذا بعدما درسنا حياته وتاريخه . إن ادعاءَ الكذب هو رياء ونفاق بالنسبة إلى المعتقد

الأصلى، والنفاق ليس فيه قوة التأمين وإيحاء الطمأنينة للغير، كما لا يوجد في قول الزور قوة لحق الصداقة".

" فيلسوف ، خطيب ، رسول ، مُشَرِّع ، مجاهد، فاتح الأفكار، معيد للمعتقدات المعقولة، ولعبادة ليس فيها أصنام ، مؤسس لعشرين دولة دنيوية، ودولة واحدة روحانية - هذا ما كان محمد - صلى الله عليه وسلم - مهما كانت المقاييس التي تقاس بها عظمة الإنسان ، من يكون أعظم منه ؟؟؟ "

لعل الطاعنين على الإسلام والمحاربين له من أوروبا وغيرها يقتدون برجلٍ مفكر من بينهم ، حاول فهم الإسلام وقد أفلح . وإن لم يستطع أن يعبر التعبير الصحيح الذي يُختصر في كلمة واحدة " النبوة " .

### نسخ وطبعات السيرة

إن النسخ المخطوطة من السيرة كثيرة، يوجد أغلبها في معظم مكاتب أوروبا، وهناك نسخة ناقصة بالمكتبة التيمورية، أما النسخة الأصلية رواية ابن إسحاق فقد كان " كربسيك Karabacek " يظن أنه عثر على ورقة منها بين مجموعة البردي الخاصة بالأرشيديوق " رينر Rainer " والمحفوظة في مكتبة مدرسة كوبريلي بإستانبول " دفتر 1140 " ولكن ظهر أنها نسخة من كتاب ابن هشام . ولا يزال كتاب - المغازي باقيا حتى اليوم في بطون الكتب مثل ما جاء في كتاب الماوردي " الأحكام السلطانية " وفي الفقرات التي أوردها الطبري في تاريخه .

وأخيراً وَصَلْنَا قِسْمٌ من سيرة ابن إسحاق بهيكلها الأصليّ دونَ حذفٍ أو تعديلٍ أو تهذيبٍ كما فعل ابنُ هشام ، وتوجد قطعتان من هذا

الكتاب في مكتبة القرويين من رواية يونس بن بكير، وأيضاً توجد قطعة في دمشق من رواية ابن سلمة عن ابن إسحاق، وهذه المخطوطات اعتمد عليها الأستاذ محمد حميد الله في تحقيق سيرة ابن إسحاق .

وقد أكد ذلك أيضاً بحث الأستاذ عبد العزيز الدوري عن السيرة وابن إسحاق، فقد قال: " وصلنا أخيراً قسم من سيرة ابن إسحاق بصورتها الأصلية قبل تهذيب ابن هشام ".

وذكر الأستاذ محمد حميد الله: أن الأصليين الفاسي والدمشقي قديمان: والقطعة الأولى في فاس ناقصة الأول، وكان الناقص هو الورقة الأولى فقط وفي آخره ما نصه:

" آخر الجزء الأول من كتاب المغازي لابن إسحاق يتلوه في الثامن - إن شاء الله - حديث بَجِيرا الراهب ".

والقطعة الثانية مختلفة من الأول، ولكن تبتدئ بحديث بحيرا. فهي تكمل الأولى. وفيها من الصفحة 39 إلى 44 سماعات بعضها مؤرخة من سنة 456 هـ.

وتنتهي القطعة الثانية في حديث المعراج والإسراء. أما القطعة الدمشقية فتبتدئ في أثناء قصة غزوة بدر، وتنتهي في أثناء قصة أحد.

وعلى عنوان المخطوطة: " يتلوه غزوة السويق، غزوة ذي إمر إلى نجد سنة ثلاث ".

وفي آخر القطعة: " كتبه طاهر بن بركات الخشوعي في شهر رمضان من سنة أربع وخمسين وأربع مائة ".

ثم هناك ثبت السماع من الخطيب البغدادي " وذلك بمدينة دمشق من الجامع ، في العشر الأول من ذي الحجة سنة 454 هـ ."

### **وقد طبعت سيرة ابن هشام عدة مرات :**

- 1 - طبعة جوتنجن - وهى أصحها - بألمانيا سنة 1860 م : بعناية وستنفيلد المستشرق الألماني في مجلدين ، مضبوطة بالشكل اللازم ، وألحقها بجزء ثالث فيه تعاليق وملاحظات وفهارس ، وفي صدره ترجمة ابن إسحاق نقلا عن ابن قتيبة وابن خلكان وابن النجار. ونقل عن كتب عيون الأثر لابن سيد الناس اليعقوبي من أهل القرن الثامن للهجرة : ما قيل من الطعن فيه والرد على الطعن . وغير ذلك من الفوائد الكثيرة .
- 2 - وطُبعت السيرة أيضاً في بولاق في ثلاثة أجزاء سنة 1295 هـ .
- 3- وطُبعت بالمطبعة الخيرية في مصر في ثلاثة مجلدات سنة 1229 هـ .
- 4- طبعت بليزج سنة 1900 م .
- 5- طبعت على هامش كتاب " الروض الأنف " بمطبعة الجمالية سنة 1332 هـ / 1914 م .
- 6- وهناك طبعة على هامش زاد المعاد في هُدَي خير العباد سنة 1333 هـ —
- 7- طُبعت في شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده طبعتين : الأولى سنة 1355 هـ / 1936 م ، والثانية سنة 1375 هـ / 1955 م . من تحقيق الدكتور مصطفى السقا وزملائه .
- 8- طبعت في مطبعة حجازي للمكتبة التجارية في أربعة أجزاء سنة

1356 هـ / 1937 م ، من تحقيق الأستاذ الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد.

### غير طبعت أخرى كثيرة لن يسع الوقت للحديث عنها.

وهاهي طبعتنا الجديدة والتي امتازت - بعون الله - وأرجو منه تعالى ألا نكون قد سبقنا إليها.

فهى فوق الشرح الكامل والتعليقات المفيدة جاءت مقدا لها بمقدمات مفيدة في دراسة هامة عن السيرة ومؤلفيها وأشهر شارحيها مع التحقيقات المهمة والفهارس المستوفاة، فإن كنت قد أحسنت فبفضل من الله ونعمة، وإن كانت إلاخرى فيضعفني البشري الذي لا يسلم منه أحد .

{ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُجَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ } [البقرة : 286].

### الرواد من كتاب السيرة

إن سيرة النبي - صلى الله عليه وسلم - شغلت الكثير من المسلمين والمؤرخين فأول ما اهتم بها فريق من التابعين فقد كانت تعقد مجالس خاصة يتحدثون فيها عن مغازي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يسألون العلماء والحفاظ من آبائهم أو ممن سمع منهم عنهم ، مثلا عن غزوة من الغزوات كيف كانت ؟ ومن شهدها ؟ وكم عدد المشتركين بها ؟ .. فكان يحدثهم العالم بذلت بطريقة علمية دقيقة لرصد الوقائع وتمييز الصحيح منها.

وهذه الطريقة وهي طريقة الإسناد، قامت بحفظ الحقائق صحيحة لا يدخل عليها تشويه أو افتراء، وربما انفردوا بذلك لعلمهم بأهمية سيرة النبي - صلى الله عليه وسلم - فنجدهم تحملوا مسئولية الصدق في الرواية واختبار الصحيح منها، عن طريق الجرح والتعديل .  
ومن أغراض جمعهم للسيرة أيضاً محاولة تفسير بعض الآيات التي أشارت إلى وقائع غزوات النبي - صلى الله عليه وسلم -  
ومن ذلك وذاك وجد جيل التابعين ومن تلاهم أهمية كبرى في جمع سيرة النبي فأخذوا يجمعون روايات وأقوال وأفعال النبي - صلى الله عليه وسلم - حتى شملت سيرته وحياته .

### **أول من روى سيرة النبي جماعة من التابعين هم :**

#### **1- أبان بن عثمان :**

هو أبان ابن الخليفة عثمان ، وُلد قبل سنة 20 هجرية لا بعدها، لأنه كان في عام 36 من الهجرة قد بلغ من العمر ما مكنه من الاشتراك في خروج عائشة وطلحة والزبير للطلب بثار عثمان الذي [ تُوفى سنة 35 هجرية ] . عيّنه الخليفة عبد الملك والياً على المدينة عام 75 هـ.  
واستمر أبان في ولايته عليها سبع سنوات ، حتى عام 83 هـ ، وفي أثناء ولايته كان الخليفة يعهد إليه كل عام بإمارة الحج . ولما لم يأت إليه أمر الخليفة في عام 81 هـ بسبب انشغاله بالحرب ، تطلع والى مكة للتشرف بإمارة الحج ، إلا أن أبان تمسك بأولويته بالإمارة، لنسبه وقرابته . وقد اختلفت الروايات في تاريخ وفاته ، فذكر البخاري أنه تُوفى في عهد الوليد [ 86 - 96 هـ ] ، وذكر ابن سعد أن وفاته في أيام يزيد الثاني [ 101 - 105 هـ ] .

تذهب بعضُ الروايات أن وفاته نهاية عهد يزيد الثاني [105 هـ] .  
 وكان أبان من فقهاء المدينة، فيروى أنه كان يحفظ فتاوى أبيه ، وبعض  
 الروايات تنفى سماعه الأحاديث عن أبيه .  
 أخذ عنه الحديث أبو الزناد والزهريُّ وابنه عبد الرحمن ، ورغم شهرته في  
 كتب الأحاديث ، إلا أن ابن إسحاق والواقدي وابن سعد لم يذكروه . روى عنه  
 أيضاً المغازي : المغيرةُ بنُ عبد الرحمن . وقد ذكر ابن سعد في ذلك الموضوع  
 : " كان ثقةً قليلَ الحديث ، إلا مغازي رسول الله - صلى الله عليه وسلم -  
 أخذها من أبان بن عثمان ، فكان كثيراً ما تُقرأ عليه ، ولأمرنا بتعلمها" .

## 2 - عروة بن الزبير

أجدُ الأشراف السابقين إلى الإسلام ، كان العوامُ جد عروة أخاً لخديجة ،  
 وكان أبوه الزبير من السابقين الأولين إلى الإسلام ، وأخوه عبد الله هو قائد  
 أبناء المهاجرين والأنصار الذين لم يرضوا خلافة يزيد، وحكم في مكة من عام  
 64 = 73 هـ. وعبد الله يكبر أخاه عروة بكثير من السنين ، حتى نجده يتلقى  
 خبر أخيه الأصغر عندما رجع عام 26 هـ إلى المدينة، ولصغر سنه لم يُسمح له  
 بالاشتراك في معركة الجمل [ سنة 36 هـ ] التي مات أبوه بها.  
 كان عروة يجتمع كل ليلة في نظام ببعض أصدقائه في مسجد المدينة  
 في الأعوام الأخيرة من عهد معاوية [41 - 60 هـ]، وأصبح فيما بعد موضع  
 ثقة الخليفة عبد الملك ، وعن تلك الاجتماعات يروي لنا ابنُ خلكان رواية  
 تحكي عن زهده في الدنيا فقال : " إن المسجد الحرام جمع بين عبد الملك  
 بن مروان ، وعبد الله بن الزبير، وأخويه مصعب

وعروة المذكور، أيام تألفهم بعهد معاوية بن أبي سفيان . فقال بعضهم : هلمّ فلتتمّته . فقال عبد الله بن الزبير : أمني أن أملك الحرمين وأنال الخلافة : وقال مصعبُ : أمني أن أملك العراقيين وأجمع بين عقيلتي قريش : سُكينة بنت الحسين وعائشة بنت طلحة . وقال عبدُ الملك ابن مروان : أمني أن أملك الأرض كلها، وأخلف معاوية . فقال عروة : لستُ في شيء مما أنتم فيه ، أمني الرهدُ في الدنيا، والفوزُ بالجنة في الآخرة، وأن أكون ممن يُروى عنه العلم . قال : فصرف الدهر من صرفه ، إلى أن بلغ كل واحد منهم إلى أمله ، وكان عبد الملك لذلك يقول : " من سرّه أن ينظر إلى رجلٍ من أهل الجنة، فليُنظر إلى عروة بن الزبير " .

وقد ترك عروة المدينة ورحل إلى مصر وأقام بها سبع سنين ، ذكر البلاذري عن عروة قوله : " أقمت بمصر سبع سنين ، وتزوجت بها، فرأيت أهلها مجاهيداً، قد حُمِل عليهم فوق طاقتهم ؛ وإنما فتحها عمرو بصلح وعهد، وشيء مفروض عليهم " .

وقد حكى لنا الروايات خبر قطع رجل عروة وموت ابنه محمد، منها رواية هشام بن عروة قال : " ثم قدم عروة على الوليد بن عبد الملك حين شككته رجله ، فقيل له : اقطعها . قال : إني لأكره أن أقطع مني طابقاً . فارتفعت إلى الركبة، فقيل له : إنها إن وقعت في الركبة قتلتك . فُقطعت ولم يُقبض وجهه . وقيل له قبل أن يقطعها : تُسقيك دواءً لا تجد معه ألماً، فقال : ما يسعني أن هذا الحائط وقاني أذاها . . .

وسقط محمد بن عروة بن الزبير، وأمه بنت الحكم بن أبي العاص بن أمية، من سطح في إصطبل دواب الوليد بن عبد الملك ، فضربتته بقوائمه حتى قتلتها ، فأتى عروة رجل يعزيه فقال عروة : إن كنت تعزيني برجلي



فقد احتسبتها. فقال : بل أعزبك بمحمد. قال : وما له ؟ فخبره بشأنه ، فقال :

# **وكنث إذا الأيام أحدثن هالكاً أقول شوي، ما لم يُصين حميمي**  
 اللهم ، أخذت عضواً وتركت أعضاء، وأخذت ابناً وتركت أبناء، فإنك إن كنت أخذت لقد أبقيت ، وإن كنت ابتليت لقد عافيت . ورواية أخرى في نفس الموضوع تقول : " إن عيسى بن طلحة جاء إلى عروة بن الزبير حين قدم من عند الوليد بن عبد الملك ، وقد قطعت رجله ، فقال عروة لبعض بنيه : اكشف عن رجلى ينظر إليها. فقال له عيسى: إنا لله وإنا إليه راجعون ، يا أبا عبد الله ، ما أعددناك للصراع ولا للسباق ، ولقد أبقى الله لنا منك ما كنا نحتاج إليه منك : رأيك وعلمك . فقال عروة : ما عزاني أحد عن رجلي مثلك " .  
 وليس لدينا خبر يقيني عن سنة وفاة عروة ؛ ولكن تؤكد روايات الثقات أنه توفي سنة 94 هـ.

وكان عروة أحد فقهاء المدينة السبعة، وكما نعرف أن مقامه بالمدينة تلك الإقامة مكنته من جمع أخبار عن الأيام الأولى من الإسلام ، عرفها من أبيه وأمه ومن عائشة أكثر من غيرها، وكان لا يقطع زيارتها وسؤالها، وكان يشتهر بمعرفته للحديث .

ونجده بجوار تدريسه إلى تلاميذه ، يدون المعلومات عن حوادث الصدر الأول من الإسلام وقد وصلتنا عن طريق كتب ابن إسحاق والواقدي والطبري . وهي عبارة عن رسائل إلي ، الخليفة عبد الملك كما ظن " هوروفتس " وبعضها يخاطب بها ابن أبي هنيذة، الذي عاش في كنف الخليفة الوليد، وما دونه عروة يعتبر أقدم المدونات التي حكّت لنا

حوادث النبيّ الخاصة بحياته ، وأيضاً يرجع أهميتها من كونها أقدم نثر تاريخي عربي ، رغم عدم عثورنا على أي كتاب مؤلف له في المغازي ، إلا أنه كان له فضل كبير في جمع وإخراج أهم الأحاديث عن المغازي والسّير، وكان عروُهُ شغوفاً بالحديث ، ويخبرنا ابنه هشام : أن عروّة لم يقل في شيء قط برأيه ، وإنما كان يعوّل على الحديث وكان أيضاً مُحبّاً للشعر، يقول هوروفتس : " إن عروّة أدخل أشعار المشركين في الحوادث ، حتى في الأحاديث الخاصة بسيرة النبي - صلى الله عليه وسلم - التي رواها لتلاميذه كما فعل ابن إسحاق فيما بعد ."

### 3 - شَرْحِيلُ بْنُ سَعْدٍ

هو شَرْحِيلُ بْنُ سَعْدٍ، مولى بنى خطمة المدنيين ، ويقال إنه عرف عليّاً [ المتوفى سنة 40 هـ ]، ويقال إنه مات عام 123 هـ وقد نيف على المائة، وأخذ الحديث عن زيد بن ثابت ، وأبي هريرة، وأبي سعيد الخدري ، ولم يقف ابن إسحاق على روايته ، وحين سُئل عنه : " وأحدٌ يُحدث عن شرحبيل ؟! " ورغم ذلك ذكره ابن حبان في الثقات ، ولا يروي عنه بجانب ابن إسحاق الواقدي ، ونجد ابن سعد يأخذ عنه خبراً عن هجرة النبي من قباء إلى المدينة، ولا يذكر شرحبيل في هذا الخبر أيّ إسناد .

### 4 - وَهْبُ بْنُ مُنْبِهِ

كان وهب بن منبه من أصلٍ فارسي، من إحدى الأسر الفارسية التي استقرت في جنوب بلاد العرب في الجاهلية، ويُلقب جدّه اخبر بالإسوار، ويذكر الواقدي أنه اعتنق الإسلام سنة 10 هـ وهذا خطأ لأن

وهباً وُلد بعد الهجرة وليس قبلها، والأصح أنه وُلد مسلماً، وربما يقصد الواقديُّ إسلامَ أبيه لأن رهبياً وُلد عام 34 هـ. وكان وهب يعيش عيشةً زاهدةً؟ فيقال " لبث وهب بن منبه عشرين سنة ولم يجعل بين العشاء والصبح وضوءاً.. ولبث أربعين سنة لم يرقد على فراش "

ويُعرف وهب في المصادر بأنه ثقة، ويقال إنه رَوَى عن ابن عباس وجابر وأبي هريرة وغيرهم؛ ولكن لم يقبل الرواة على الأخذ عنه إلا في النادر، وربما يرجع ذلك لأنه كان يعنى عنايةً خاصةً بأحاديث أهل الكتاب، وأنه كان يعرف ما تحويه كتب اليهود والمسيحيين المقدّسة، عن طريق صلته باليمنيين من أهل الكتاب ويُعتبر وهت من الثقات المعتمدين في قصص الأنبياء خاصة. ولكنه تطرق إلى تاريخ العباد، أي الأولياء.

إن كتابات وهب تعتبر مدخلاً إلى سيرة النبي حيث إنها ترتبط بالرسالات السماوية قبل نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - وكان وهبٌ من آخر جيل التابعين حيث بدأ جيل تابعي التابعين وهو جيل شيوخ ابن إسحاق، من بينهم عبد الله بن أبي بكر بن محمد، وعاصم بن عمر بن قتادة، ومحمد بن مسلم الزهري .

#### ه - عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن حزم

هو عبد الله بن أبي بكر بن محمد، وُلد بالمدينة، كان أبوه أبو بكر قاضياً في المدينة من عام 86 هـ وكان عالماً بالفقه؛ قال ابن وهب عن مالك: " لم يكن أحدٌ بالمدينة عنده من علم القضاء ما كان عند أبي بكر بن حزم " وكان قد أخذ الفقه عن أبان بن عثمان، وتقلد ولاية المدينة وتوفي عام 120 هـ تقريباً.

وقد تنصب ابنه محمد للقضاء في المدينة مثل أبيه .  
هكذا نشأ عبد الله بين أسرة رفيعة المقام والعلم ، ولكنه لا يميل إلى المناصب خاصة وقد كان أبوه حيا . وقد ذكر ابن حجر عن مالك أخبرني ابن عنزابة قال : قال لي ابن شهاب : من بالمدينة ؟ فقال ابن شهاب : ما ثم مثل عبد الله بن أبي بكر ، ولكنه يمنعه أن يرتفع ذكره مكان أبيه وهو حي .  
وكان عبد الله يأذن لابن إسحاق أن يسمع من عمرة زوجته ، وكان عبد الله لا يفصح لابن إسحاق على بعض الأمور التي ربما قد تسيء إلى بعض الصحابة ، فلم يذكر له مثلا أسماء المدنيين اللذين خالفا أوامر النبي أثناء نزول عسكره بجوار الحجر ( حجر ثمود ) .  
قال ابن إسحاق في ذلك : " حدثني عبد الله بن أبي بكر أنه قد سمي له العباس الرجلين ، ولكنه استودعه إياهما ، فأبى عبد الله أن يسميهما لي " .  
ويعتبر عبد الله هذا هو أول من استعمل الترتيب السنوي ، لذلك نجده يجمع الغزوات مرتبة حسب السنوات ، وقد اقتبسها ابن إسحاق في السيرة ، وقد نقل عنه أيضا الرسالة التي كتبها النبي إلى ملوك حمير ، والوثيقة التي أعطها النبي جدّه اخبر عمرو بن حزم ليأخذها معه إلى أهل نجران ، حيث كان يفقههم في الدين .  
وكان عبد الله مثل من سبقه يذكر الأشعار بين الحوادث .  
وتوفى عبد الله ما بين 130 أو 135 هـ ، فقد اختلفت الروايات منهم من قال سنة 130 هـ ، ومنهم من قال 135 هـ ولكنه توفى وهو ابن سبعين سنة .

## 6 - عاصم بن عمر بن قتادة

كان عاصم بن عمر بن قتادة من المدينة أيضاً، وكانت أسرته من السابقين إلى الإسلام . وجده قتادة أحد الأنصار الذين حاربوا في بدر مع النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو أيضاً حامل لواء قبيلته في حنين . وكان عاصم من أهل العلم بالمغازي ، ذكر ابن سعد قدوم عاصم إلى دمشق فقال : " وقد على عمر بن عبد العزيز فقضى ديبته ، وأمره أن يجلس في مسجد دمشق فيحدث الناس بالمغازي ومناقب الصحابة ؛ ففعل ، ثم رجع إلى المدينة "

وعاصم بن عمر من بين الثقات في رواية الحديث ، وقد روى عنه ابن إسحاق والواقدي : المغازي ، وكان أيضاً يجمع أخبار شباب النبي - صلى الله عليه وسلم - في مكة . وهو دائم التصريح بالإسناد، وأيضاً يدخل الشعر بين الأحداث ، وكان كثيراً ما يحلل تلك الحوادث بالرأي الخاص به . وتوفي رحمه الله حوالي عام 119 هـ .

## 7- الزهري = محمد بن مسلم

هو محمد بن مسلم بن عبيد الله ، بن عبد الله بن شهاب ، يُكنى أبا بكر، من بني زهرة بمكة، وقد اختلفت الروايات في مولده بين سنة 50 أو 51 هجرية وقيل سنة 56 أو 57 أو 58 هجري . كان الزهري وثيق الصلة بعبد الملك وكان يفتي في أيام عمر بن عبد العزيز في بعض المسائل الفقهية . اشتهر الزهري بالكرم ، قال عنه قرة بن عبد الرحمن : " ما رأيت أحداً، الدينار والدرهم أهون عليه منه ، كأنها عنده بمنزلة البعير " .

وكان الزهري يحضر مجالس هشام بن عبد الملك ذكر ابن خلكان : " وحضر الزهري يوماً مجلس هشام بن عبد الملك ، وعنده أبو الزناد وعبدُ الله بن ذكوان ، فقال له هشام : أي شهر كان يخرج . العطاء فيه لأهل المدينة ؟ فقال الزهري : لا أدري . فسأل أبا الزناد ، فقال :. في المحرم . فقال هشام للزهري : يا أبا بكر، هذا علم استفدته اليوم .، فقال : مجلس أمير المؤمنين أهل أن يُستفاد منه العلمُ " . وقد درس الزهري بالمدينة ثم رحل بهذا العلم إلى عاصمة الخلافة حتى أنه سُمى " بـفقيه القصر العلامة " لاقترابه من الخليفة.

وقد درس بالمدينة أنساب قومه على يد عبيد الله بن ثعلبة، وبعدها اتصل بسعيد بن المسيب ، وكان وقتها هو المستفتي والغالب على علم المدينة وله قدرٌ كبير عند الناس. وذكر الذهبي : " وكنا نجالس ابن المسيب لا نسأله حتى يأتي إنسان فيسأله ، فيهجه ذلك ، فيحدث ، أو يبتدئ هو فيحدث "

ومن شيوخ الزهري كما قيل عن معمر قال سمعت الزهري يقول : أدركت من قريش أربعة بحور : سعيد بن المسيب ، وعروة بن الزبير، وأبا سلمة بن عبد الرحمن، وعبيدُ لله بن عبد الله بن عتبة " . يقول عنه عراك بن مالك : إنه أعلم أهل المدينة، لأنه جمع علمَ عروة. وسعيد وعبيد الله ، ولكنه غاب عليه صلته الوثيقة بالخلفاء الأمويين: يقول مكحول : " أي رجل الزهري ، لولا أنه أفسد نفسه بصحبة الملوك " وكان يفخر لتلاميذه بعلمه فيقول : " ما نشر أحد من الناس هذا العلم نشري، ولا بذله بذلي " .

وكان واسع المعرفة حتى اشتهر، بها، يقول الليث: " ما رأيت عالماً

قطاً أجمع من ابن شهاب ولا أكثر علماً منه ، لو سمعته يحدث في الترغيب لقلت : لا يحسن إلا هذا، وإن حدث عن الأنساب لقلت : لا يعرف إلا هذا، وإن حدث عن القرآن والسنة كان حديثه نوعاً جامعاً ". وكانت ذاكرته قوية كثير الحفظ والأمثلة على ذلك كثيرة، منها ما رواه صالح بن كيسان : " كنت أطلب العلم أنا والزهرى فقال ؟ تعال نكتب السنين . قال : فكتبنا ما جاء عن النبي - صلى الله عليه وسلم . ثم قال : تعال نكتب ما جاء عن الصحابة . قال : فكتب ولم أكتب ، فأنجح وضئعتُ ". وكانت مكتبة الأمويين بدمشق تحمل الكثير من المجلدات التي أوضع فيها الزهرى ما جمعه من العلوم ، وعن ذلك ذكر لنا ابن سعد رواية عن معمر تلميذ الزهرى قال : " كنا نرى أنا قد أكثرنا عن الزهرى حتى قتل الوليد، فإذا الدفاتر قد حملت على الدواب من خزائنه ، يقول - معمر - : من علم الزهرى "

ولم يصل إلينا كتاب مستقل من مؤلفاته ، ولكن جمعت بعض مادته عن طريق كتب السيرة وتاريخ الإسلام ، واعتمد الزهرى في ذلك على مقتبسات ابن سعد وخاصة في المادة التي تحوي تاريخ حياة النبي صلى الله عليه وسلم الشاملة .

ووفاة الزهرى فيها خلاف أيضاً ذكر الذهبي : " قال ضميرة بن ربيعة وغيره : مات سنة ثلاث وعشرين ( أي ومائة ) ، وهذا وهم ، وقال إبراهيم بن سعد وطائفة : سنة أربع وعشرين . وقال الزبير بن بكار وغيره : سنة أربع ( أي وعشرين ومائة ) في سابع عشر رمضان . وشذ ابن يونس الصدفي فقال : في رمضان سنة خمس وعشرين ومائة، والصحيح سنة أربع . ولقد مات الزهرى ولم يمت علمه فقد تتلمذ على علمه ثلاثة ألفوا

في المغازي ، ويُعد هؤلاء الثلاثة قاعدةً راسخةً في تأليف السير، وجميعهم من الموالى وهم : موسى بن عقبة، ومَعْمَر بن راشد، ومحمد ابن إسحاق .

وسوف نترجم باختصار لكل من موسى ومعممر هنا ونترك ابن إسحاق في مجال خاص به باعتباره صاحب هذا الكتاب الأصلي .

### 8 - مُوسَى بن عُقْبَةَ

هو موسى بن عقبة بن أبي عياش مولى بني الزبير بن العوام ، وبالأخص مولى زوج الزبير أم خالد، كما ذكر ابن حجر والذهبي . وكانت أسرته من موالى آل الزبير. ولا يُعرف له تاريخ ميلاد، ولكنه رأى بعض الصحابة، قال في ذلك : " حججت وابن عمر بمكة، عام حج نجدة الحروري<sup>(1)</sup> " وكان ذلك عام 68 هـ ، لذلك رجَّح هوروفتس أنه وُلد قبل عام 55هـ.

**وموسى بن عقبة** أحد رواد المغازي والعالمين بها، قال مالك بن أنس : " عليكم بمغازي موسى بن عقبة فإنه ثقة " . وكتاب موسى لم يصل إلينا ولا نعرف شيئاً عنه ، سوى أنه لم يقتصر على المغازي بالمعنى الخاص ، بل حوى الهجرة أيضاً. وكان موسى يروي عن الزهري كثيراً. قال حكم بن معين : " كتاب موسى بن عقبة عن الزهري من أصح هذه الكتب " وكتاب موسى بن عقبة يُعد من أهم كتب السيرة لما له من صفة علم التاريخ . قال هورفتس في استنتاجاته : " إن كتاب موسى كان يحتوي على قوائم المهاجرين إلى الحبشة، والمشاركين في بيعتي العقبة

(1) أحد قواد الخوارج



وأهم من كل ذلك ، المحاربين في بدر ؟ قوائم مثل التي أعدها سُرخبيل ابنُ سعد. قال مالك في ذلك : " من كان في كتاب موسى قد شهد بدرا فقد شهدها، ومن لم يكن فيه لم يشهدها".  
 وكتابات موسى تُعدُّ من أهمِّ الكتابات حتى اقتبس منها ابن سعد عن طريق الواقدي ، وأخذ عنه أيضاً الطبريُّ ، واعتنى موسى بتاريخ ما قبل الإسلام واتبع طريقة السنين في تأريخ الوقائع .  
 ومن مميزات مؤلفه نظامُ الإسناد فقد اعتنى به عنايةً خاصة . وتُوفي موسى بن عقبة حوالي سنة 141 هـ .

### 9 - معمر بن راشد

هو معمر بن راشد مولى بنى حُرَّان من قبيلة الأزد، المولود في البصرة حوالي عام 96 س درس في البصرة منذ شبابه علي قتادة بن دعامة [ المتوفى عام 114هـ ] ، وكان كثير التجوال في البلاد طلباً للعلم ، وقد تزوج من أهل اليمن ، فعاش هناك في صنعاء، ويرتحل إلى البصرة في بعض الأوقات .

وكان مَعْمَرُ بنُ راشد من علماء الحديث ، قال ابن جريج عنه : " عليكم بهذا الرجل ، فإنه لم يبق أحد من أهل زمانه أعلم منه " . روى عنه الواقديُّ وعبدُ الرزاق بن همام تلميذه الذي نقل عنه ابن سعد. ويذكر لنا الفهرست عن مصنفاته : " كتاب المغازي " .  
 وتُوفي رحمه الله باليمن عام 154 هـ ، وقد بلغ من العمر الثامنة و الخمسين .

### جيل الواقدي وما بعد ابن إسحاق

بقى لنا أن نقف عند جيل كان بمثابة حلقة وصل ، فقد حفظوا لنا روايات المعلمين الأوائل وعاصروا ابن إسحاق ، ومن هذا الجيل أبو معشر السُّنْدِي ، ومحمد بن عُمر الواقدي ، ومحمد بن سعد، ولا ننكر هنا أهمية كل منهم ، ولكننا نترجم هنا باختصارٍ للواقديِّ باعتبار أهميته كتاباته في السيرة .

### 10 - الواقدي

هو محمد بنُ عمر الواقديُّ يُلقبُ بالواقدي لأن جدّه كان يُسمى واقداً، وقد لُقِبَ أيضاً الأسلمي لأنه كان من موالى عبد الله بن بُرَيْدَة من بنى أسلم ويكنى أبا عبد الله .

وُلِدَ بالمدينة سنة 130 هـ كما قال تلميذه ابن سعد. ودرس وسمع الواقديُّ الحديثَ على علماءٍ أجلاءٍ في المدينة. وكان له صلة مع العباسيين حين ذهب إلى بغدادَ سنة 180 هـ أيام الخليفة هارون الرشيد، وقد ذكر ابن سعد نماذج لهذه الصلات رواها الواقديُّ ، وقيل : إن هارون الرشيد عين الواقديَّ قاضياً على الجانب الشرقي من بغداد، وهذه الرواية لا نعرف راويها، وخبر آخر يقول : إنه كان قاضياً في عام 187 هـ في عهد هارون الرشيد، وروايات أخرى تذكر أن المأمون عينه قاضي عسكر المهدي .

ويروي الفهرستُ أن الواقديَّ كان محباً للمعرفة لذلك نجده ينقلُ كلَّ ما وقع عليه من الكتب ، ويُحكى عنه أنه اشترى كتاباً بألفي دينار، وكان له مؤلفات كثيرة ذكرها صاحب الفهرست وهي 28 كتاباً، وكذلك ذكرها ياقوت تقريباً.

ومؤلفات الواقديّ تناولت الفقه ، والقرآن ، والحديث وأيضاً كتب التاريخ .  
ويهمنا هنا، أن نشير إلى كتابه " التاريخ والمغازي والبعث " وكتاب " التاريخ الكبير " ، و" أخبار مكة " أزواج النبي صلى الله عليه وسلم " و" وفاة النبي صلى الله عليه وسلم " و" السقيفة وبيعة أبي بكر " و" سيرة أبي بكر ووفاته " و" الردة والدار " و" السيرة " . . . الخ .  
ونجد هنا أنه اعتنى بتفصيل الأحداث وخاصة في التاريخ الإسلامي وسيرة الصحابة . بخلاف الاختصاص بالمغازي والسير .  
وقد حفظت لنا كتب المؤرخين روايات متناثرة من مؤلفات الواقدي ، والكلام عن كتب ومؤلفات الواقدي قد يحتاج إلى متسع من الفصول والشرح . ولكن نرجع لأهم تلك الكتب وهو كتاب موضوعنا " كتاب المغازي " وهو الوحيد بين كتب الواقديّ الذي وصلنا كاملاً، وقد نشر الفريد فون كريمر Alfred Von Kremer الثالث الأول منه في " المكتبة الهندية " وكانت مخطوطته غير كاملة، والمخطوطة الكاملة لهذا الكتاب في المتحف البريطاني . وقد ذكر لنا الواقديّ في بداية " كتاب المغازي " قائمة بمن أكثر عنهم الرواية، وعددهم خمسة وعشرون اسماً، جميعهم من أهل المدينة أو سكنوا بها.  
وكان الواقديّ كما ذكر الطبريُّ يكنُّ كلَّ التقدير لابن إسحاق يقول : " وكان من أهل العلم بالمغازي وبأيام العرب وأخبارهم وأنسابهم ، راويةً لأشعارهم ، وكثير الحديث ، غزير العلم ، طلاقة له ، مقدماً في العلم بكل ذلك ثقة "  
ولا يراودنا الشكُّ في أن الواقديّ قد اقتبس من كتاب ابن إسحاق الكثير، وأكثر من أي شخص آخر ورغم ذلك لم يذكر اسمه في القائمة التي ذكرها.

وكتاب الواقدي " كتاب المغازي " أشمل من كتاب ابن إسحاق في الفترة المدنية ويعتبر هذا الكتاب حديثاً فقهياً وليس تاريخياً، لأن ذكر الحديث فيه غالب على الرواية التاريخية .

وذكر هوروفتس : والواقديُّ يمتاز عن سبقه في تحديد تواريخ الحوادث ، وليس تاريخه مجرد تكرار لحقائق معروفة من قبل ، إنما ثمرة بحثٍ مستقل . أضف إلى ذلك أن الواقديَّ دون ملاحظاته الخاصة على أصول الأحاديث . وكان لا يعلم كثيراً عن فترة ما قبل الإسلام ، قال إبراهيم الحربيُّ في ذلك : " كان الواقديُّ أعلم الناس بأمر الإسلام ، وأما الجاهلية فلم يعلم منها شيئاً " .

عاش الواقديُّ 78 عاماً، وتوفي في خلافة المأمون بعد أن عهد إليه ( الواقدي ) في تنفيذ وصيته في أواخر سنة 207 هـ ودُفن في مقابر الخيزران أم هارون الرشيد، وبعده كان تلميذه ابن سعد.

\* \* \*

وإذا نسينا فلن ننسى هذا العلم الفرد والنجم الوقاد، أستاذ شارحي السيرة الذي فذ من سبقوه ، ولم يلحق به من جاء بعده ، ألا وهو عبد الرحمن السهيلي .

### 11 - السُّهَيْلِيُّ - أحد شراح السيرة<sup>(1)</sup>

هو أبو القاسم وأبو زيد، عبدُ الرحمن بنُ الخطيب ، أبو محمد بن

(1) وقد قمنا بترجمته هذه عرفانا بيده البيضاء التي لا تنكر على سيرة بن هشام، فقد شرحها في أربعة أجزاء كبيرة شرحاً يفوق الوصف، في كتابه (الروض الأنف) انظره من تحقيقنا.

عبد الله بن الخطيب ، أبو عُمر أحمد بن أي الحسن ، أصبغ بن حُسين ، ابن سعدون ، بن رضوان ، بن فتوح وهو الداخل إلى الأندلس . قال الحافظ أبو الخطاب بن دحية : هكذا أُمليَ عليَّ نسبه - الخثعمي السهيلي الإمام المشهور. وزاد القفطي : في " إنباه الرواة " . الأندلسي ، النحوي اللغوي الإخباري . وذكره الزركلي في الأعلام قال : عبد الرحمن عبد الله بن أحمد الخثعمي السهيلي . والخثعمي نسبة إلى خثعم بن أنمار، وهي قبيلة كبيرة وهو رأي مختلف فيه .

والسهيلي نسبة إلى سُهَيْل وهي قرية بالقرب من مالقة " مدينة كبيرة بالأندلس " سميت باسم الكوكب " سُهيل " لأنه لا يُرى في جميع بلاد الأندلس إلا من جبلٍ مطلٍ عليها.

ومما يعرف عن السهيلي أنه كان مالكي المذهب مثله مثل أغلبية أهل المغرب .

### **مولده ونشأته :**

وُلد عبد الرحمن السهيلي كما تشير المراجع سنة 508هـ الموافقة لسنة 1114 م ، وفي إحدى قرى سُهيل بمراكش نشأ السهيلي يتسوغ بالعفاف ويتبلى بالكفاف ، وطلب العلم واستحسنه ، ونهل منه الكثير في شتى مجالاته وكف بصره وعمره سبعة عشر عاماً، ولم يكن ذلك بعائقٍ ، فقد زاد في نهله للعلم والمعارف ، حتى أصبحت له مكانةٌ عاليةٌ ،

يسعى إليه الناس في طلب العلم ، فذاع صيته بصاحب مراكش<sup>(1)</sup> فطلبه - حوالى سنة 78 هـ - إليها وأكرمه وأحسن إليه وأقبل بوجهه غاية الإقبال عليه ، وولاه قضاء الجماعة، وحسنت سيرته فأقام بمراكش نحو ثلاثة أعوام يُصنف كتبه إلا أن تُوفى بها.

### السُّهَيْلي والعلم :

وهو مشهور في عالم النحو وفنون الأدب ، وحافظُ عالمٌ باللغة والسِّير، وأشعاره كثيرة وتصانيفه ممتعة . وتتأول هنا بعضاً من أشعاره التي تظهر بها بلاغته وعلمه في اللغة والأدب دليلاً على شاعرية السهيلي . قال ابن دحية : أنشدني السُّهيلي وقال : إنه ما سأل الله تعالى " بهذه الأبيات " حاجة إلا أعطاه إياها، وكذلك من استعمل إنشادها " وهي من بحر الكامل " ومطلعها :

# يا من يَرِي ما فِي الضميرِ وَيَسْمَعُ  
# يا مَنْ يَرَجِي لِلشِّدَائِدِ كُلِّهَا  
# يا مَنْ خَزَائِنُ رِزْقِهِ فِي قَوْلِ كُنْ  
# ما لي سِوِي قِرْعِي لِبائِكِ حِيلَةٌ  
# ومن الذي أدعو وأهتف باسمه  
# يا مَنْ يَرِي ما فِي الضميرِ وَيَسْمَعُ  
# يا مَنْ يَرَجِي لِلشِّدَائِدِ كُلِّهَا  
# يا مَنْ خَزَائِنُ رِزْقِهِ فِي قَوْلِ كُنْ  
# ما لي سِوِي قِرْعِي لِبائِكِ حِيلَةٌ  
# ومن الذي أدعو وأهتف باسمه

يُمنع؟!  
# حاشا لمجدك أن تُقنطَ عاصياً  
# ثم الصلاة على النبي وآله  
# يا مَنْ يَرِي ما فِي الضميرِ وَيَسْمَعُ  
# يا مَنْ يَرَجِي لِلشِّدَائِدِ كُلِّهَا  
# يا مَنْ خَزَائِنُ رِزْقِهِ فِي قَوْلِ كُنْ  
# ما لي سِوِي قِرْعِي لِبائِكِ حِيلَةٌ  
# ومن الذي أدعو وأهتف باسمه

الفضلُ أجذُّ والمواهبُ أوسعُ  
خيرِ الأنامِ ، ومن به يُستشفعُ  
ويقول الصفدي في كتابه " تكت الهميان في تكت العميان " ، ومن شعره " السهيلي " يرثي بلده ، وكان الفرنج قد ضربته وقتلت رجاله ونساءه . وقتلوا أهله وأقاربه وكان غائباً عنهم ، فاستأجر من أركبه دابةً ،

(1) هو أبو يعقوب يوسف بن عبد الله الذي تولى إمرة الموحدين في المغرب سنة 558هـ.

وأتى به إليه ، فوقف إزاءه وقال :  
 # يا دائرَ أين البيضُ والآرامُ  
 # رابَّ المحب من المنازل أنه  
 # أَحْرَسَنَ أم بَعْدَ المَدَى، فنسِيتَه  
 !  
 أم أين جيران عليَّ كرام !  
 حيًّا، فلم يرجع إليه سلام !  
 أم غَال من كان المجيب حِمَامُ

# دمعي شهيدي أني لم أنسَهُمْ  
 # لما أجابني الصّدَى عنهم ولم يلج  
 # طارحتُ وُزُقَ حَمَامِهَا مُتَرْتَمَا بمقال  
 # يا دائرُ ما صنعَتْ بِكَ الأيَامُ ضامتكُ  
 # والأيامُ ليس تُضامُ  
 # المسامعُ للحبِيب كلامُ  
 # صَبِّ، والدموعُ سجامُ  
 وله أشعار<sup>(1)</sup> كثيرة أخرى، وإن دلت فإنها تدل على علم وفير وإحساس  
 مُرَهَف وعقلية متأمّلة لها مذاقها الخاص .

### كتب ومؤلفات السهلي :

السهلي صاحب كتاب " الروض الأنف " أشهر كتاب في شرح سيرة  
 رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وهو كتاب شامل بمناح مختلفة من  
 اللغة والأدب والنحو والأخبار التاريخية وأنساب وعلم القراءات ومن فقه  
 وتفسير وحديث .. الخ " ويعتبر بحق موسوعة في السيرة النبوية "؛ قال  
 الصفدي عنه في ( نكت الهميان في نكت العميان ) : " وهو كتاب جليل جَوْد  
 فيه ما شاء، وذكر في أوّله أنه استخرجه من تَيْفٍ وعشرين ومائة ديوان سوى  
 ما أنتجه من صدره ونفحه من فكره .. " وقد ألف السهلي هذا الكتاب قبل  
 رحيله إلى مراكش ، إذ كان بدء إملائه<sup>(2)</sup>.

(1) إن هذه الشعار السابقة قد تجدها مخالفة لبعض المصادر فارجع إلى ما  
 ذكره ابن العماد، والصفدي " في نكت الهميان " والمقري في " نفخ الطيب " .  
 (2) قال في مقدمة كتابه " إملائي " لأنه كان كفيف البصر . وإن كان الكثير من  
 المبصرين كانوا يملون أيضا لأسباب ليس هنا موضع ذكرها .

"الروض الأنف" في شهر المحرم عام 569هـ ، وكان الفراغ منه في جمادى الأولى من ذلك العام .

وللسهيلي غير هذا الكتاب كتب كثيرة منها :

- 1 - التعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام .
- 2 - نتائج الفكر أو " نتائج النظر "
- 3 - الإيضاح والتبيين لما أبهم من تفسير القرآن الكريم .
- 4 - مسألة رؤية الله عز وجل في المنام ، ورؤية النبي - صلى الله عليه وسلم -
- 5 - مسألة السر في عَوْر الدجال .
- 6 - شرح آية الوصية " من الفرائض "
- 7 - شرح الجمل - ولم يتم -

ومسائل غير هذه كثيرة مفيدة لم يصرح لنا المترجمون بأسمائها ولكن يكفينا في معرفة سعة علمه ما بين أيدينا من كتابه " الروض الأنف " ، ( انظره من تحقيقنا )

### **السهيلي وأئمة عمره :**

روى السهيلي عن أئمة عصره وكبار رجالات العلم بالأندلس منهم أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي، وعن أبي مروان عبد الملك بن سعيد بن بونة القرشيّ العبدري ، وأبي بكر محمد بن 1لطاهر الإشبيليّ، وسمع أبا عبد الله بن مَعْمَر .

وأخذ القراءات عن جماعة منهم : أبو داود سليمان بن يحيى بن سعيد، وبعضها عن أبي علي الفراوي ، وممن أخذ منه اللغة والأدب ابن الطراوة، وقد ناظره في كتاب سيبويه .



### وفاته :

قال ابن خلكان : " وتوفي بحضرةٍ مراکش يومَ الخميس ، ودُفن وقتَ الظهر، وهو يوم السادس والعشرين من شعبان سنة إحدى وثمانين وخمسمائة "

وأيد ذلك صاحب النجوم الزاهرة .

وقال صاحب الديباج المذهب : " وتوفي بمراكش سنة إحدى وثمانين وخمسمائة وكان - رحمه الله - مكفوفاً، وعاش اثنتين وسبعين سنة " وقد ذكره أيضاً بما سبق ابن العماد الحنبلي صاحب كتاب " شذرات الذهب " وهنا نجد إجماعاً من أصحاب التراجم على سنة وفاته - رحم الله الجميع وأسكنهم فسيح جناته ونفعنا بعلمهم ، وحشرنا في زمرة العلماء العاملين المخلصين الذين لا يطلبون بعلمهم ممارسة السفهاء، أو مجادلة الجهلة البلهاء.

## ترجمة المؤلفين : ابن إسحاق وابن هشام أولا : الإمام ابن إسحاق كاتب السيرة

### نسبه ونشأته :

محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار، وقيل : ابن يسار بن كوتان المدني -  
وقيل كونان ، وأيضاً كوثان.  
واختلف العلماء في كنيته ، فقال الإمام البخاري<sup>1</sup> : إن ابن إسحاق كنيته :  
أبو بكر، وقال ابن سعد<sup>2</sup> : يكنى أبا عبد الله . وهذا الخلافُ أوردته الخطيبُ  
البغدادي<sup>3</sup> ولكنه لم يحسم الأمر ويقف على كنية منهما.  
فاقت شهرة محمد بن إسحاق كل من سبقه وعاصره ، في كتابة السير  
والمغازي لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبذلك ارتبط اسمه باسم  
أعظم سيرة لأعظم إنسانٍ ، وهي حياة محمد الرسول - صلى الله عليه  
وسلم -  
وكان محمد بن إسحاق أحد ثلاثة إخوة.

<sup>1</sup> البخاري : التاريخ الكبير ، وانظر بإسناده في "تاريخ بغداد ج 1/216".

<sup>2</sup> ابن سعد : "الطبقات" و"الفهرست" ص 93 .

<sup>3</sup> الخطيب البغدادي "تاريخ بغداد 1/216".

قال الخطيب البغدادي : وله أخوان هما أبو بكر وعمر ابنا إسحاق . وزاد الجماعيلي في كتابه " الكمال في معرفة الرجال " : أن محمد ابن إسحاق أعلاههم ، وأن عمر أخاه مات بعده بسنة أو سنتين ، وكان أبوه إسحاق قد تزوج من بنت صبيح مولى حُوَيْطِب بن عبد العُزَّى<sup>1</sup>.

قال ابن سعد<sup>2</sup> : " إن جده يسار من سبي عين التمر"<sup>3</sup>

وزاد ابن قتيبة : " من سبي عين التمر الذين بعث بهم خالد بن الوليد إلى أبي بكر بالمدينة "

وانفرد الخطيب البغدادي بقوله : وكان " خيار " لقيس بن خزيمة بن المطلب بن عبد مناف القرشي<sup>4</sup> - وهنا ذكر خيار أبا يسار جد محمد ابن إسحاق - رواه عن الهيثم بن عدي وأبو الحسن المدائني . وربما هذا هو الصواب ، وذلك عندما أسلم " كوتان " سماه مولاه " خياراً " وبما أن ( حرب عين التمر) ، قريب البصرة ، حدثت سنة 12 هـ / 633 م في خلافة أبي بكر الصديق ، وبومها كان خيار شاباً. فوُلد له ابنه يسار والد مؤلفنا حوالي سنة 20 هـ إذن فكيف يكون أسر في ذلك الزمان . - ووُلد إسحاق أبو مؤلفنا حوالي سنة 53 هـ ومحمد بن إسحاق مؤلفنا حوالي سنة 83 هـ ونستنتج هذا كما أشار أوجست فيشر " August Fischer " من أن جميع الرواة الذين أخذ عنهم ابن إسحاق مباشرة توفرا عام 100 هـ، وأنه لم يُذكر بين رواة جماعته من أشهر المحدثين المدنيين الذين توفوا من العام التسعين من الهجرة .

<sup>1</sup> القسطلاني (4/328).

<sup>2</sup> الطبقات 7/2 ص : 62 .

<sup>3</sup> بلدة قريبة من الأنبار غربى الكوفة بالعراق (معجم البلدان) لياقوت

<sup>4</sup> ومن ثم فيقال : يسار المطلبي بالولاء المدني بالمقام.

وروى الواقدي خبراً يتفق مع هذا التاريخ قال : " كان محمد بن إسحاق يجلس قريباً من النساء في مؤخر المسجد، فيروى عنه أنه كان يسامر النساء فرفع إلى هشام وهو أمير المدينة وكانت له شعرة حسنة فرقى رأسه ، وضربه أسواطاً، ونهاه عن الجلوس هنالك " وهذه الرواية لا تصح لأن هشام ولي المدينة من 82 هـ إلى 86 وولد ابن إسحاق في سنة 85 هـ ، إلا أن يكون أراد إسماعيل بن هشام الذي ولي المدينة من 105 إلى 114 هـ وقتها كان ابن إسحاق ما بين العشرين والثلاثين من عمره .

ويذكر الطبري والبلاذري أن جده كان مسيحياً.

وينفرد الخطيب البغدادي ويروي : عن عبد الله بن جعفر بن درستويه ، عن يعقوب بن سفيان قال : ابن إسحاق بن يسار صاحب السيرة مولى فارسي<sup>1</sup> .

ويخالف البغدادي في ذلك البكري في ( معجم ما استعجم . مادة عين التمر ) فروى : " وبكنيسة عين التمر وجد خالد بن الوليد الغلمة من العرب الذين كانوا رهناً في يد كسرى. وهم متفرقون بالشام والعراق منهم جد الكلبى العالم النسابة . . وجد محمد بن إسحاق صاحب المغازي وبسبب تلك الرواية يرجع اعتقاد بعض المستشرقين إلى أن جد ابن إسحاق كان نصرانياً<sup>2</sup> .

ومهما يكن من الأمر فإن علم ابن إسحاق للنصرانيات - كما ظهر في السيرة - لم يقتبسه عن طريق أجداده بل عن طريق علماء عصره .

<sup>1</sup> وهذا لا يصح لأن جده كان أسيراً في يد كسرى " ملك الفرس " .  
<sup>2</sup> وأصبح بعدها من موالي قبيلة عبد الله بن قيس بن مخزوم بن المطلب بن عبد مناف القرشي .

ولقد نشأ محمد بن إسحاق بين أسرة من الموالي . وقد كان أبوه قبله شغوفاً بجمع الأحاديث ، وكثيراً ما يَروِي عنه في كتاباته ، وأيضاً كان يَروِي عن عمِّه موسى وعبد الرحمن ابني يسار. فلا بد لذلك أن يكون محمد بن إسحاق قد اشتغل منذ حداثة برواية الحديث مثل كثيرين من أبناء جيله .

ومن هنا فقد اهتم بدراسة الحديث وجمع كثيراً من الأحاديث فيما بعد بزيارة أشهر العلماء من أمثال عاصم بن عمر، وعبد الله بن أبي بكر، والزُّهري .

ويذكر الطبري اهتمامه الخاص بجمع الأحاديث والمغازي بقوله :

" وكان من أهل العلم بالمغازي - مغازي رسول الله - صلى - وبأيام العرب وأخبارهم وأنسابهم ، راوية لأشعارهم ، كثير الحديث ، غزير العلم طلاقة له ، مُقدِّماً في العلم بكلِّ ذلك ثقة " . ووصل اهتمامُ محمد بن إسحاق بالرواية إلى حدِّ أنه يذكر قرابة مائة راوٍ من المدينة وحدها.

### رحلاته العلمية :

عندما اصطدم ابن إسحاق بأئمة الحديث أصحاب الرأي السائد في المدينة حينذاك وعلى الأخصِّ بمالك بن أنس كما سنذكر بعدُ - ترك ابن إسحاق المدينة وطَّهه ورحل إلى مصرَ، وكان قد أتمَّ الثلاثين من عمره سنة 110 هـ ثم عاد إلى المدينة، وبعدها رحل إلى العراق بعد انتصار العباسيين سنة 132 هـ / 749 م .

ولما كان مع العباس بن محمد أميراً على الجزيرة ذهب إليها سنة [142 هـ - 760 م ] وفيها يرد أول ذكر لسماع مغازيه عنه في العراق .

وبعدها أتى أبا جعفر المنصور بالحيرة في الفترة بين [ 142 هـ - 760 م / 146 هـ - 763 م ] ، فكتب إليه المغازي ، فسمع منه أهل الكوفة بذلك السبب ، ومن المحتمل أن يكون فعل ذلك بأمر من الخليفة فقد أمره من قبل أن يصنف كتاباً من بدء الخليقة إلى يومهم ، وكان حريصاً على أن يدرس ابنه مغازي ابن إسحاق ، وأتى الرِّيِّ فسمع منه أهلها كذلك ، فروأته من هذه البلدان أكثر ممن روى س عنه من أهل المدينة، وأتى بغداد فأقام بها حتى لقي ربّه .

### أسانده :

وُلد محمد بن إسحاق في المدينة المنورة، ومن الواضح أنه بدأ دراسته فيها في وقت مبكر، وعاش فيها هناك مدة ثلاثين سنة تقريباً، جمع خلالها أحاديثه ورواياته عن طريق علماء أجلاء ذكرهم الخطيبُ البغدادي بقوله : " إن محمد بن إسحاق رأى أنسَ بن مالك - رضي الله عنه - وسعيد بن المسيَّب ، وسمع القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ، وأبان بن عثمان بن عفان ومحمد بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب ، وأبا سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ، وعبد الرحمن بن هُرمز الأعرج ، ونافعاً مولى عبد الله بن عمر، ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهري وغيرهم " .

وزاد عليهم يوحنا فوك : " أنه تعلم أيضاً من عاصم بن قتادة، وعبد الله بن أبي بكر " المتوفي سنة 130 أو 135 هـ " وأيضاً تعلم من يزيد بن رومان تلميذ ومولى عروة بن الزبير.

ويدين ابنُ إسحاق بالكثير لموالي بني الزبير، ولأقارب تلك الأسرة كذلك ، مثل هشام ويحيى ابني عروة ؛ وعُمَر بن عبد الله ابن أخى عروة،

ومحمد بن جعفر ابن أخي عروة، ثم ليحيى بن عباد بن عبد الله ابن أخي عروة الكبير.

ودرس التفسير على يد أستاذه في هذا المجال محمد بن أبي محمد، من الموالي .

وكان ابن إسحاق يلجأ إلى غير المسلمين حين كان يريد أخباراً عن الحوادث اليهودية والمسيحية، والفارسية . فيذكر بين رواته " بعض أهل العلم من أهل الكتاب الأول " أو " أهل التوراة " أو " من يسوق الأحاديث عن العجم " وكان يستعين في ذلك بالمغيرة بن أبي زييد - وقيل لبيد - الذي روى أقوال وهب بن منبه عن الإسرائيليات .

ويبدو أن ابن إسحاق فيما عدا وهباً، أول مؤلف عربي يعطينا فقراتٍ من العهدين : القديم والجديد مترجمة مترجمة حرفية .

ومن كل هؤلاء وغيرهم كان الزهريُّ أكبرَ أساتذة ابن إسحاق؛ وغالبا ما يُعبر عن العلاقة التي كانت بينهما في صورة الإسناد؛ فيقول مثلاً : " حدثني محمد بن مسلم الزهريُّ " أو " سألتُ ابنَ شهابِ الزهريِّ " أو يقول : " حدثني الزهريُّ ... " .

ومن مظاهر هذه العلاقة أيضاً : بعث ابن إسحاق إلى الزهريِّ وثيقةً رواها له يزيد بن أبي حبيب " المتوفى عام 128 هـ " في مصر عن سفارات النبي - صلى - إلى الأمراء المختلفين ، كي يتحقق من صحتها. وكان ذلك عندما وفد ابنُ إسحاق عام 115 هـ على الإسكندرية، وهناك سمع من يزيد بن أبي حبيب الذي يعد أول من أدخل دراسة الحديث في مصر. وسمع أيضاً من عبيد الله بن المُغيرة، وثمانمة بن سُفْي، وعبيد الله بن أبي جعفر، والقاسم بن قُزمان ، والسكن ابن أبي كريمة .

ومن الأرجح أن ابن إسحاق رجع من مصر إلى زيارة المدينة<sup>1</sup> وذلك قبل رحيله إلى العراق . كما رجع " فيك " ؛ وربما كان في إحدى هذه الزيارات إبراز أستاذه الزهري له للحاضرين في عام 123 هـ .

### تلامذته ومن حدث عنه :

لابن إسحاق شهرة واسعة بين المحدثين والمؤرخين والمستشرقين ، فقد استمد تلك الشهرة من أعظم أعمال خلفها لنا عبر التاريخ وهي السيرة النبوية العطرة، فقد وصلت إلينا السيرة النبوية الشريفة من خلال عدة طرق ، منها : المخطوطات التي عُثر عليها مؤخراً منسوبة لابن إسحاق مباشرةً، وتُعد هذه المخطوطات الآن بمثابة البرهان والإثبات على صحة ما خلفه لنا تلاميذ ابن إسحاق لروايتهم عنه السيرة، وتكمن قيمة هذه القطع المخطوطة من كونها إثباتاً لما طرأ على السيرة من تغيرات كلمية أو تقديمية أو تأخيرية، أو تهذيبية، وأيضاً الإضافات الشرحية التي لحقت بسيرة ابن إسحاق على أيدي بعض من تلاميذه .

وفي بداية حديثنا عن تلاميذ ابن إسحاق نوضح ، أن الذين طلبوا علمه لم ينحسروا في مكان بعينه ، بل كانوا منتشرين بين عدة مدن هي المدينة المنورة، والكوفة وبغداد والبصرة والري .

وبعد إبراهيم بن سعد [ 110 - 184هـ ] تلميذه الوحيد في المدينة ؛ قال ابن حجر في " تهذيب التهذيب " 9/41 \_ 42 : " وقال البخاري . . قال ، قال لى إبراهيم بن حمزة : كان عند إبراهيم بن سعد عن

<sup>1</sup> ويوجد احتمال أنه لم يرجع إلى المدينة بل سافر من مصر إلى العراق وإيران، ومن الصعب أن نعرف إلى أين سافر أولاً؛ لأنه لا يوجد إجماع من المؤرخين أو الثقات يثبت ذلك .



ابن إسحاق نحو من سبعة عشر ألف حديث في الأحكام ، سوى المغازي . وإبراهيم بن سعد من أكثر أهل المدينة حديثاً في زمانه .

ومن أشهر النسخ المروية عن تلاميذ ابن إسحاق ، نسخة زياد بن عبد الله البكائي " المتوفى سنة 183 هـ " التي اعتمدها ابن هشام ، والتي يرى السخاوي أنها أوثق من رواية يونس بن بكير الشيباني .

وروى عنه عبد الله بن إدريس الأودبي " 115 - 192 هـ " ويونس ابن بكير " المتوفى سنة 199 هـ في الكوفة " الذي اعتمده عليه السهيلي كثيراً في نقله للسيرة ضمن كتابه " الروض الأنف " وممن استفاد من نسخة يونس بن بكير الشيباني أيضاً العلامة ابن الأثير في كتابه " أسد الغابة " .

ومن تلاميذه أيضاً عبدة بن سليمان " توفي سنة 187 هـ " وعبد الله ابن ثُمير " 115 - 199 هـ " .

وممن سمع منه ببغداد يحيى بن سعيد بن أبان الأموي الكوفي الحافظ ؛ ولقبه الجمل " 114 - 194 هـ " .

وكان ابن إسحاق أستاذ جرير بن خازم " 85 - 170 هـ " بالبصرة، وكريم بن أبي عيسى وأيضاً سلمة بن الفضل " المتوفى سنة 191 هـ بالري " وقد اعتمد الطبري نسخته ، قال الخطيب البغدادي : " إن رواية مسلمة بن الفضل لكتاب السيرة لابن إسحاق أفضل من غيرها " . وتلمذ على علمه أئمة أجلاء روى عنه ، منهم : علي بن مجاهد

" توفي حوالي سنة 180 هـ في الري " وإبراهيم بن المختار، وسعيد بن

بزيع ، وعثمان بن ساج ، ومحمد بن سلمة الحراني " توفى سنة 191 هـ في الري " وسفيان الثوري، وابن جريج ، وشعبة، والحمادان ، وشريك بن عبد الله النخعي، وسفيان بن عيينة ومن بعدهم .

وأشهر من كل هؤلاء في المغازي بالذات هو ابن هشام الذي روى السيرة النبوية واشتهر بها عن غيره وحتى عن مؤلفها ابن إسحاق .

ويجب أن نعلم أن ابن هشام رواها بواسطة زياد بن عبد الله البكائي . وفاقت سعة انتشار ملخص ابن هشام حتى غطت على الكتاب الأصلي منذ عهد بعيد. فاليعقوبي مثلا " المتوفى حوالي سنة 300 هـ " يستخدم ما هذبه ابن هشام من السيرة ، ولم يذكر ابن إسحاق

### **مطاعن على ابن إسحاق والرد عليها**

تعرض ابن إسحاق في مسيرة حياته لألوان شتى من الاستياء والطعن سواء لعلمه أو سيرته الذاتية . منها ما يشكك في علمه وإسناده وخاصة بالمغازي ، ومنها ما هي إلا عصبية مثل موقف هشام بن عروة منه ، ومنها من يرجع مكمّن الغضب فيها ذلك الصراع العلمي مثل خلافه مع مالك رضى الله عنه . ومنها أن بعض الروايات التي ذكرت هذا الطعن ليس لها أساس من الصحة كي يقويها ويستند عليها بحرفية عادلة وموثقة يمكن الاعتماد عليها.

وسوف نعرض لهذا وذاك والرد على تلك المطاعن بالوثائق والأقاويل التاريخية، حتى يحكم التاريخ ويقول كلمته التي تعلو فوق كل الوشايا والأهواء ويجلو عن تلك الدعاوى غبار الزمن .

أولى هذه الدعاوى ما ذكرها الشاذكانيُّ : " كان محمد بن إسحاق ابن يسار يتشيع ، وكان قدرباً " .

وقال أحمد بن يونس : " أصحاب المغازي يتشيعون كابن إسحاق وأبى  
معشر.. . " .

وقال أيضاً ياقوت " في معجم الأدباء " عن يحيى بن سعيد بن القطان ،  
يقول : كان محمد بن إسحاق والحسن بن ضمرة، وإبراهيم بن محمد كل  
هؤلاء يتشيعون ويقدمون علياً على عثمان .

ويرد على ذلك " ابن سيد الناس " في " عيون الأثر " بقوله : " أما ما  
رُوى به ابن إسحاق من التدليس والقدر والتشيع ، فلا يوجب ردّ روايته ، ولا  
يُوقع فيها كبيرَ وهن . أما التدليس فمنه القادح في العدالة وغيره ، ولا يحمل  
ما وقع هاهنا من مطلق التدليس ، على التدليس المقيد بالقادح في العدالة،  
وكذلك القدر والتشيع لا يقتضى الردّ إلا بضميمةٍ أخرى ولم نجدّها ها هنا " .

وهذا أيضاً متعلق بالفرق بين الحديث والتاريخ ، فالحديث لا يطلب فيه  
قصة مربوطة، بل شهادة كل شاهد للواقعة، وأما التاريخ فهو يحتاج إلى  
الحديث بغرض الإخبار عن القصة التاريخية بدون أسانيد غالباً. وقال مكىُّ بنُ  
إبراهيم : جلست إلى محمد بن إسحاق وكان يخضب بالسواد فذكر أحاديث  
في الصفة فنفرت منها فلم أعد إليه ، وقال مرة : تركت حديثه .

ويرد على ذلك أيضاً " ابن سيد الناس " بقوله : وليس في ذلك كبيرُ أمرٍ  
فقد ترخص قومٌ من السلف في رواية المشكل من ذلك وما يُحتاج إلى تأويله  
، لا سيما إذا تضمن الحديث حكماً أو أمراً آخر وقد تكون هذه الأحاديث من  
هذا القبيل .

وروى الساجيُّ عن المفصلِّ بن غسان : حضرت يزيد بن هارون وهو

يحدث بالبقيع وعنده ناس من أهل المدينة يسمعون منه حتى حدثهم عن محمد بن إسحاق فأمسكوا، وقالوا : لا تحدثنا عنه نحنُ أعلم به ، فذهب يزيد يحاولهم فلم يقبلوا فأمسك يزيد.

ويحلُّ ذلك الموقف أيضاً " ابن سيد الناس " بقوله : فليس فيه ذكر لمقتضى الإمساك ، وإذا لم يُذكر لم يبق إلا أن يحول الظن فيه ، وليس لنا أن نعارض عدالةً مقبولة بما قد نطنه جرحاً.

وقال أبو موسى محمد بن المثنى : ما سمعت يحيى القطان يحدث عن ابن إسحاق شيئاً قط .

قال " ابن سيد الناس " ردّاً على ذلك : فقد ذكرنا السبب في ذلك وتكذيبه إياه رواية عن وهيب بن خالد عن مالك عن هشام ، فهو ومن فوقه في هذا الإسناد تبع لهشام ، وليس ببعيد من أن يكون ذلك هو المنفر لأهل المدينة عنه في الخبر السابق عن يزيد بن هارون وسوف نذكر بعد قليل ما كان بينه وبين هشام بن عروة .

وعن يعقوب بن شيبه قال : سمعت محمد بن عبد الله بن نمير ذكر ابن إسحاق فقال : إذ حدث عمن سمع منه من المعروفين فهو حسن الحديث صدوقٌ وإنما أتى من أنه يحدث عن المجهولين أحاديث باطلة . يقول صاحب الفضل الأكبر في الرد على مطاعن ابن إسحاق " ابن سيد الناس " : فلو لم يُنقل توثيقه وتعديله لتردد الأمر في التهمة بها بينه وبين من نقلها عنه ، وأما مع التوثيق والتعديل ، فالحملُ فيها على المجهولين المشائر إليهم لا عليه .

وأما الطعن على العالم بروايته عن المجهولين فغريب وقد حكى ذلك عن سفيان الثوري وغيره ، وأكثر ما فيه التفرقة بين بعض حديثه وبعض ،

فِيرُدُّ ما رواه عن المجهولين ، ويقبل ما حمله على المعروفين .  
وقيل لناصر السنة أحمد بن حنبل : يا أبا عبد الله ، إذا تفرّد - يقصد ابن إسحاق - بحديثٍ قبله ؟ قال : لا ، والله إنني رأيتُه يحدث عن جماعة بالحديث الواحد ولا يفصلُ كلامَ ذا من كلامِ ذا .

وقد رد ابن سيد الناس على ذلك بقوله : وقد تتحد ألفاظ الجماعة وإن تعددت أشخاصهم ، وعلى تقدير أن لا يتحد اللفظُ فقد يتحد المعنى ، رويانا عن واثلة بن الأسقع قال : إذا حدثتكم على المعنى فحسبكم .

ورويانا عن محمد بن سيرين قال : كنتُ أسمع الحديث من عشرةٍ ، اللفظ مختلف والمعنى واحد .

وقد ذكر ابن المديني أن حديثه ليتبين فيه الصدق ، يروي مرة حدثني أبو الزناد ، ومرة ذكر أبو الزناد إلى آخره ، وما يصلح لمعارضة هذا الكلام ، واختصاص ابن المديني سفيان معلوم كما عُلم اختصاص سفيان بمحمد بن إسحاق .

ومن المطاعن التي لصقت بابن إسحاق قول أبي داود سمعت أحمد ابن حنبل ذكره فقال : كان رجلاً يشتهي الحديث فيأخذ كتبَ الناس فيضعها في كتبه .

ويستمر " ابن سيد الناس " في الدفاع فيقول : فلا يتم الجرح بذلك حتى نتيقن أنها مسموعة له ، ويثبت أن يكون حدّث بها ، ثم ينظر بعد ذلك في كيفية الإخبار ؛ فإن كان بالفاظٍ لا تقتضى السماع تصريحاً ، فحكمه حكم المدلسين ، ولا يحسن الكلام معه إلا بعد النظر في مدلول تلك الألفاظ ، إن كان يروى ذلك عنهم مصرحاً بالسماع ولم يسمع ،

فهذا كذب صراح ، واختلاق محض لا يحسن الحمل عليه ، إلا إذا لم يجد للكلام مخرجاً غيره .

وقال أبو عبد الله أحمد بن حنبل رضي الله عنه : قدم محمد بن إسحاق إلى بغداد فكان لا يبالي عمن حكى عن الكلبي وغيره .

ويدافع أيضاً ابن سيد الناس فقال : فهو أيضاً إشارة إلى الطعن بالرواية عن الضعفاء، لمحل ابن الكلبي من التضعيف ، والراوي عن الضعفاء لا يخلو حاله من أحد أمرين : إما أن يصرح باسم الضعيف ، أو يدلّسه ، فإن صرح به فليس فيه كبير أمر روي شخص ولم يعلم حاله ، أو علم وصرح به ليبراً من العهدة، وإن دلّسه فيما أن يكون عالماً بضعفه أو لا، فإن لم يعلم فالأمر في ذلك قريب ، وإن عالم به وقصد بذلك التدليس فهذه جرحه من فاعلها، وكبيره من مرتكبها، وليس في أخبار أحمد عن ابن اسحاق ما يقتضى روايته عن الضعيف وتدليسه إياه مع العلم وكثرة الحفظ ، فقد يميز من حديث الكلبي وغيره مما يجري مجراه ما يُقبل مما يُرد، فيكتب ما يرضاه ويترك ما لا يرضاه.

وقد قال يعلى بن عبيد : قال لنا سفيان الثوري : اتقوا الكلبي ، ف قيل له فإنك تروي عنه فقال أنا أعرف صدقه من كذبه ، ثم غالب ما يروي عن الكلبي أنساب وأخبار من أحوال الناس وأيام العرب ، وسيرهم وما يجري ذلك مما سمح كثير من الناس في حمله عمن لا تحمل عنه الأحكام ، وممن حُكي عنه الترخص في ذلك الإمام أحمد، وممن حكى عنه التسوية في ذلك بين الأحكام وغيرها يحيى بن معين .

واتهام آخر قيل : إنه لم يكن يحتج به في السنن .

قال ابن سيد الناس في الرد على ذلك : فقد يكون لما أنس من التسامح في غير السنن ، التي هي جل علمه من المغازي والسير، طرد

الباب فيه وقاس مروياته من السنن على غيرها، وأطرد الباب في ذلك يعارضه تعديل من عدله .

وقال يحيى : إن ابن إسحاق ثقة وليس بحجة .

رد ابن سيد الناس عليه فقال : فيكفينا التوثيق.

وما ذكره ياقوت عن الواقدي ، واللفظ لياقوت : " كان محمد بن إسحاق يجلس قريباً من النساء في مؤخر المسجد. فيروى عنه أنه كان يسامر - وعند ابن النديم : يغازل - النساء. فرُفِعَ إلى هشام<sup>1</sup> وهو أمير المدينة . وكانت له شعرة حسنة فرقق رأسه وضربه أسواطاً، ونهاه عن الجلوس هناك ، وكان حسنَ الوجه "

وهنا سؤال يطرح نفسه : هل رجل مثل ابن إسحاق له شهرته وعلمه يجمع الحديث والسيرة العطرة يظهر بين الناس بمظهر منافي لآداب الإسلام وتعاليمه؟! وهل يجهل الرجل قدسية وحرمة المساجد والأماكن المقدسة؟!

الإجابة على هذا السؤال يدركه العقل لأول وهلة وهو النفي . وإذا صحت هذه الرواية فربما كان ذلك في شبابه ومجونه ، وإن لم تصح فيدل ذلك على غلط الحديث من المعاصرين له بالطنع عليه بالحجج الضعيفة .

ومما يزيد من ضعف هذه الرواية ما قاله الخطيب البغدادي عن ابن أبي حازم : " كنا نُعوداً في المسجد معنا محمد بن إسحاق " وفي رواية أخرى عن عبد العزيز بن محمد الدراوردي : قال " كنا في مجلس محمد بن إسحاق نتعلم "

<sup>1</sup> يقصد إسماعيل بن هشام .. كما وضحنا سلفاً . لأن هشاماً مات مبكراً عن ذلك .

وأما ما أطبق عليه بعض المؤرخين والمستشرقين خاصة، من أن هناك عداوة بين ابن إسحاق وكل من هشام بن عروة بن الزبير، ومالك بن أنس . فأولا

لا بد وأن نمحي لفظ " عداوة " لأن مدلول هذا اللفظ لا يتفق وقدر علماء الإسلام الأعظم ، وربما كان هناك ما يطلق عليه تنافس العلماء وليست العداوة بمفهومها المشين - وكما يحدث دائما مع أبناء المهنة الواحدة .

ونبدأ بإنكار هشام بن عروة بن الزبير رواية ابن إسحاق عن زوجته وابنة عمه فاطمة بنت المنذر، عن أسماء بنت أبي بكر، فقد ذكرت لنا المصادر عدة روايات منها قولُ ابن قتيبة : " وكان ابن إسحاق يروي عن فاطمة بنت المنذر بن الزبير، وهي امرأة هشام بن عروة. فبلغ ذلك هشاماً فأنكره ، وقال : أهو كان يدخل على امرأتي ؟ " وتشابهت في ذلك جميع الروايات ، منها رواية صاحب الفهرست : " متى دخل إليها ومتى سمع منها ؟ " وفي المعجم " هو كان يدخل على امرأتي ؟ كأنه أنكر ذلك " أما في رواية الخطيب " العدو لله الكذاب يروي عن امرأتي ؟ من أين رآها ؟ " روى ابن سيد الناس : أن هشاماً قال : " دخلت بها وهي بنت تسع وما رآها مخلوق حتى لحقت بالله عز وجل<sup>1</sup> .

كأن الرواية في ظن هشام لا بد وأن تصحبها الرؤية .

وقد دافع عن ابن إسحاق بعض العلماء منهم أحمد بن حنبل فقد روي عنه أنه قال : " وما ينكر هشام ؟ لعله جاء فاستأذن عليها فأذنت له وهو لم يعلم "

<sup>1</sup> وهذه الرؤية غلط انظر " أعلام النساء : 4 / 146 " فإن فاطمة بنت المنذر ولدت سنة 48 هـ وهشام ولد سنة 61 هـ فهي أسن من هشام بثلاث عشرة سنة .



وكان ذلك طبيعياً في رواية الحديث ، ومن ذلك أمثلة كثيرة عن التابعين كالأسود وعلقمة سمعا من عائشة - رضى الله عنها - من غير أن ينظرا إليها، بل سمعا صوتها. وأيضاً في أيام ابن إسحاق كان ذلك معمولاً به ، مثال ذلك ؟ كان عبد الله بن أبي بكر يروي عن امرأته فاطمة ابن عمار، ويدعوها لأن تقص على ابن إسحاق خبراً. وكان ذلك يتم من وراء حجاب أو ستار، أو كان معهما مُحرم ، وهى محجبة أو أن يكون ابنُ إسحاق قد حمل عنها صغيراً.

وقال يوسف هوروفتس : " ومن المحتمل أن هشاماً أيضاً لم يعترض أي اعتراض على زوجته ، التي كانت أكبر كثيراً من زوجها، وأكبر من ابن إسحاق نفسه بما يقربُ من 30 أو 40 عاماً<sup>1</sup>، بل لم يكن هشام عارفاً بأية زيارة من ابن إسحاق لبيته أخذ فيها الأحاديث عن فاطمة، ولذلك شك في صحة أقوال ابن إسحاق "

ويوجد احتمال آخر أنه قد سألها عن طريق أمه أو أخته أو زوجته . وهنا نطرح سؤالاً : لماذا لم يسأل هشام زوجته عن صحة ادعاء ابن إسحاق ؟ وأية فعلة شنعاء قام بها ابن إسحاق ، كل ذلك لأنه روى حديثاً نبوياً عن فاطمة .

وقد ذكر ابن سيد الناس " محمد بن إسحاق عن فاطمة بنت المنذر عن أسماء بنت أبي بكر، قالت : سمعت امرأةً وهى تسأل النبيّ - صلى - فقالت : إن لى ضرة، وأنى أتشبع من زوجى بما لم يعطنيه لأغيطانها بذلك قال : " المتشبع بما لم يُعطِ كلابس ثوبَي زورٍ "

وقال أبو الحسن بن القطان : الحديث الذي من أجله وقع الكلام في ابن إسحاق من روايته عن فاطمة حتى قال إنه كذاب ، وتبعه في ذلك

<sup>1</sup> ولدت سنة 48 هـ فهي أسن منه بنحو 37 عاماً .

مالك ، وتبعه يحيى بن سعيد وتابعوهم من بعدهم تقليداً لهم : حديث " فلتقرصه ولتنضح ولتنضح فيه " <sup>1</sup> وقد روينا من حديثه عنها غير ذلك . وذكر الذهبي " عن يعقوب بن شيبه سألت ابن المديني عن ابن إسحاق قال حديثه عندي صحيح ، . . . قلت : فهشام بن عروة قد تكلم فيه . قال : الذي قال هشام ليس بحجة . لعله دخل على امرأته وهو غلام ، فسمع منها ، إن حديثه ليتبين فيه الصدق " .

ورغم ما قاله هشام بن عروة عن ابن إسحاق ، نجد الأخير في السير يروي عن هشام مراراً ، وعن آل عروة بن الزبير . وهذا يدل أولاً على أن العلم عند ابن إسحاق كان قبل أي شيءٍ وفوق كلِّ عداوة .

وإنما طعن مالك فيه - وإذا كان ذلك مرة واحدة ، ثم عاد له إلى ما يجب - بين العلماء فلان ابن إسحاق - وكان أعلم من بالحجاز بنسب الناس - يزعم أن مالكاً من موالى ذي أصبح ، وكان مالك يزعم أنه من أنفسها . فوقع بينهما لذلك مفاوضة ، فلما صنف مالك " الموطأ " قال ابن إسحاق : " أتوني به فأنابيطاره ، أي " طيب بعله " ، فثقل ذلك إلى مالك فقال : دجال من الدجاجلة <sup>2</sup> يروي عن اليهود . وكان بينهما ما يكون بين الناس ، حتى عزم ابن إسحاق على الخروج إلى العراق . فتصالحا حينئذ وأعطاه مالك عند الوداع خمسين ديناراً ونصفاً ثمرة تلك السنة .

<sup>1</sup> هذا الحديث رواه البخاري في صحيحه "كتاب الحيض باب 9 ، وكتاب الوضوء باب 63 : " وقال : " عن مالك ، عن هشام بن عروة ، عن فاطمة بنت المنذر ، عن أسماء " . ورواه أيضاً أبو داود في سنته "كتاب الطهارة باب 13 " بالإسناد السابق مرة و "عن ابن إسحاق ، عن فاطمة ، عن أسماء " ، مرة أخرى . إذن الخلاف ليس في الحديث ، بل في الذي سمع منه ابن إسحاق : هل من فاطمة مباشرة ، أو عن طريق هشام أو غيره ؟ انظر فهارس فتح الباري من تحقيقنا .

<sup>2</sup> قال الراوي : " وما رأيت أحداً جمع الدجال قبله " .

ولم يكن يقدر فيه مالك من أجل الحديث ، إنما كان ينكر عليه تتبعه غزوات النبي - صلى - من أولاد اليهود الذين أسلموا وحفظوا قصة خيبر وقريظة والنضير، إلى غير ذلك من الغرائب من أسلافهم .

وما كان ابن إسحاق في تتبعه لذلك إلا ليزداد معرفة من غير أن يحتج برأيهم .

ويبدو أن هذا كان سبباً رئيسياً، في ذلك الخلاف الذي يُعدُّ خلافاً علمياً يحدث دائماً بين العلماء. خاصة إذا كان هذا العالم قد استحدث شيئاً جديداً.

فابن إسحاق نهج نهجاً جديداً في وضع السيرة، خالف بها الطريقة التقليدية للمحدثين في المدينة، ويوضح ذلك موقف أهل المدينة السليبي من مغازي ابن إسحاق ، الذي لم يروها في المدينة عنه سوى إبراهيم بن سعد، مع العلم أنها وجدت انتشاراً واسعاً في العراق وإيران .

. . . ومن روايات تلك القصة ما ذكره الخطيب البغدادي ، عن ابن إدريس " قال : قلت لمالك بن أنس - وذكر المغازي - فقلت : قال ابن إسحاق أنا بيطارها. فقال : قال لك أنا بيطارها ؟ نحن نفيناها عن المدينة، يلمح إلى حديث أن المدينة لا يدخلها المسيح الدجال " .

وذكر أيضاً الخطيب : " وكان ابنُ أبي ذئب ، وعبد العزيز بن الماجشون ، وابنُ أبي حازم ، ومحمدُ بن إسحاق يتكلمون في مالك بن أنس ، وكان أشدهم كلاماً محمد بن إسحاق ، وكان يقول : ائتوني ببعض كتبه حتى أبين عيوبه أنا بيطارُ كتبه " .

ولم يذكر أصحاب التراجم تواريخ لهذه القصة، فما ذكره ابن سيد

الناس من مصالحتهما يدل على أن هذا وقع قبل أن يغادر ابن إسحاق المدينة .

وأما رواية الخطيب ، قول مالك : " نحن نفينا عن المدينة " لو صح ذلك القول سيدل على أن هذا حدث بعد سفر ابن إسحاق ، أو أنه ربما قد كرر ذلك القول .

وعن آثار قصة مالك وقصة هشام قال ابن حجر : " وكذبه سليمان التيمي ، ويحيى القطان ، ووهيب بن خالد؛ فأما وهيب والقطان فقلدا فيه هشام بن عروة ومالك ، وأما سليمان التيمي فلم يتبين لأي شيء تكلم فيه ، والظاهر أنه لأمر غير الحديث ، لأن سليمان ليس من أهل الجرح والتعديل " ولكنه غار لِمَا غار له هشام بن عروة بن الزبير، لأن سليمان من أقاربهم .  
.. وأما عدا ذلك من الطعن فأمر غير مفسرة ومعارضة في الأكثر من قائلها بما يقتضى التعديل.

وممن يصح حديثه ويحتج به في الأحكام أبو عيسى الترمذي - وباقي أصحاب الصحاح الستة<sup>1</sup> - رحمهم الله - وأبو حاتم بن حبان ، ولم تتكلف الرد عن طعن الطاعنين فيه إلا لما عارضه من تعديل العلماء له وثنائهم عليه ، ولولا ذلك لكان اليسير من هذا الجرح كافيا في رد أخباره ، إذ اليسير من الجرح المفسر منه وغير المفسر كافٍ في رد من جهلت حاله قبله ، ولم يعدله معدلٌ .

<sup>1</sup> أصحاب الصحاح الستة على رأي هم : البخاري ، ومسلم ، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه. كلهم رووا عن ابن إسحاق. فقد أخرج له مسلم في المبايعات، واستشهد به البخاري في مواضع يسيرة، وروى له أبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه رحم الله الجميع.

### مكانته عند العلماء:

محمد بن إسحاق ثبت في الحديث عند أكثر العلماء ؛ ولا تُجهل إمامته في المغازي والسُّبُر.

- قال ابن شهاب الزهري : من أراد المغازي ، فعليه بابن إسحاق .  
 - وذكر البخاري في تاريخه ، وروى عن الشافعي - رضي الله عنه أنه قال : من أراد أن يتبحر في المغازي فهو عيال على ابن إسحاق .  
 - وقال شعبة بن الحجاج : ابنُ إسحاق أميرُ المؤمنين<sup>1</sup> " يعنى في الحديث " .

- ويذكر الساجي : أن أصحاب الزهري كانوا يلجئون إلى محمد بن إسحاق فيما شكوا فيه من حديث الزهري ، ثقة منهم بحفظه .

- روى الخطيب البغدادي : كان ابن إسحاق من أحفظ الناس .

- قال علي بن المديني : مدارُ حديث رسول الله - صلى - على ستة ، فذكرهم ، ثم قال : فصار علم الستة عند اثني عشر أحدهم ابن إسحاق . هذا لفظ حديث الأصبهاني وحديث الشروطي بمعناه ، غير أنه قال : ثلاثة عشر أحدهم ابن إسحاق .

- قال سفيان بن عُيينة قال قال الزهري : لا يزال بالمدينة علم ما بقى - يعني ابن إسحاق - أمير المحدثين ، وقيل له لِمَ ؟ قال : لحفظه . . . وقال ابن أبي خيثمة : حدثنا هارون بن معروف ، قال : سمعت أبا معاوية يقول كان ابن إسحاق من أحفظ الناس ، فكان إذا كان عند

<sup>1</sup> هو لقب يطلق على نوع من التوثيق لرواة الحديث. راجع مقدماتي لفتح الباري.

الرجل خمسةً أحاديث أو أكثر جاء فاستودعها محمد بن إسحاق ، فقال :  
احفظها عليَّ فإن نسيتها كنت قد حفظتها عليَّ.

- وقال أبو سعيد الجعفي : كان ابن إدريس معجباً بابن إسحاق كثير  
الذكر له ينسبه إلى العلم والمعرفة والحفظ .

- روى الخطيب بإسناد له إلى ابن نفيل : حدثنا عبد الله بن قائد قال : كنا  
إذا جلسنا إلى محمد بن إسحاق فأخذ في فن من العلم قضى مجلسه في  
ذلك الفن .

- قال ابن أبي خيثمة : حدثنا ابن المنذر عن ابن عُيينة أنه قال : ما يقول  
أصحابك في محمد بن إسحاق ؟ قال قلت : يقولون إنه كذاب ، قال : لا تقل  
ذلك .

- قال ابن المديني : سمعتُ سُفيان بن عيينة سُئل عن محمد بن إسحاق  
ف قيل له : ولم يرو أهل المدينة عنه ؟ قال : جالسته منذ بضع وسبعين سنة  
وما يتهمه أحد من أهل المدينة ولا يقولون فيه شيئاً .

- وسُئل أبو زرعة عنه فقال من تكلم في محمد بن إسحاق ؟ هو صدوق .  
قال أبو حاتم : يُكتب حديثه .

- وسُئل ابن شهاب عن المغازي فقال : هذا أعلم الناس بها يعني ابن  
إسحاق .

- قال أحمد بن زهير : سألت يحيى بن معين عنه ، فقال : قال عاصم بن  
عمر بن قتادة : لا يزال في الناس علم ما عاش محمد بن إسحاق .

- قال ابن عيينة: قال أبو بكر الهذلي : سمعت الزهريُّ يقول : لا يزال بالمدينة علم جَم ما كان فيهم ابنُ إسحاق .
- وقال سفيان بن عيينة : رأيت الزهري أتاه محمدُ بنُ إسحاق فاستبطأه . فقال : أين كنت ؟ فقال له محمد بن إسحاق : وهل يصل إليك أحد مع حاجبك ؟ قال : فدعا حاجبه فقال له : لا تحجبه إذا جاء . . . وُحكي عن يحيى بن معين ، وأحمد بن حنبل ، ويحيى بن سعيد القطان ، أنهم وثقوا محمد بن إسحاق واحتجوا بحديثه .
- وقال المرزبانيُّ : ومحمد بن إسحاق أول من جمع من مغازي رسول الله - صلى - وألفها.
- وقال البخاريُّ : ينبغي أن يكون له ألف حديث ينفرد بها لا يشاركه فيها أحد.
- قال أبو زرعة : محمد بن إسحاق قد أجمع الكبراء من أهل العلم على الأخذ عنه ، منهم : سُفيان ، وشعبة، وابن عيينة، والحمادان ، وابن المبارك ، وإبراهيم بن سعد، وروى عنه من الأكابر: يزيدُ بن أبي حبيب . وقد اختبره أهل الحديث فرأوا صدقاً وخيراً، مع مِدحة ابن شهاب له .
- وقال إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني : الناس يشتهون حديثه .
- وقال ابن تُمير : كان يُرمى بالقدر وكان أبعَد الناس منه .
- وقال علي بن المديني عن سفيان : ما رأيتُ أحداً يتهم محمدَ بنَ إسحاق.
- وقال إبراهيمُ الحربِيُّ : حدثني مصعب قال : كانوا يطعنون عليه بشيء ومن غير جنس الحديث .

- وقال يزيد بن هارون : ولو سُودُّ أحد في الحديث لسُودُّ محمدُ بنُ إسحاق .

- وروى يحيى بن آدم : حدثنا أبو شهاب : قال لي شعبة بن الحجاج : عليك بالحجاج بن أرطاة وبمحمد بن إسحاق .

- وقال ابن عُلية : قال شعبة : أما محمد بن إسحاق وجابر الجعفي فصدوقان .

- قال يعقوب بن شيبه : سألت ابن المديني : كيف حديث محمد ابن إسحاق صحيح ؟ قال : نعم حديثه عندي صحيح . قلت له : فكلام مالك فيه ؟ قال لم يجالسه ولم يعرفه . . الخ .

- وروى ابن أبي خيثمة عن يحيى : ليس به بأس .

- قال العجلي : ثقة .

- وروى المفصَّل بن غسان عن يحيى بن معين : تَبَّتْ في الحديث

- وقال يعقوبُ بن شَيْبَةَ سألت يحيى بن معين عنه : في نفسك شيء من صدقه ؟ قال : لا، هو صدوق .

- وقال البخاري : رأيت على بن عبد الله " المديني " يحتج بحديثه - أي ابن إسحاق - وقال لي : نظرت في كتابه فما وجدت عليه إلا حديثين ، ويمكن أن يكونا صحيحين .

- قال ابن عدي : " ولو لم يكن لابن إسحاق من الفضل إلا أنه صرف الملوك عن الاشتغال بكتب لا يحصل منها شيء ، للاشتغال بمغازي رسول الله - صلى - ومبعثه ، ومبتدأ الخلق ، لكانت هذه فضيلة سبق بها ابنُ إسحاق ، وقد فتشت أحاديثه الكثيرة فلم أجد فيها ما يُقطع عليه بالضعف ، وربما أخطأ وأنهم في الشيء بعد الشيء كما يخطئ غيرُه . وجلَّ من لا يسهو .



## مؤلفاته :

تذكر المصادر أن ابن إسحاق كتب في المبتدأ، وفي السيرة، والمغازي ، وفي تاريخ الخلفاء حتى أيام المنصور ؛ قال الخطيب البغدادي : " وكان عالماً بالسير وبالمغازي وأيام الناس وأخبار المبتدأ وقصص الأنبياء " .

ويوضح ذلك كثرة مقتبسات كتاباته داخل كتب التاريخ والطبقات والسير، وأهمية هذه المقتبسات كبيرة لمعرفة منهجه التاريخي . وهل ألف كتاباً في ثلاثة أقسام - المبتدأ ( أو مبتدأ الخلق ) والمبعث ، والمغازي - أو أنه ألف أكثر من كتاب اعتمدها ابن هشام في تهذيبه للسيرة .. ؟

ومن الصعب أن نجزم بأنه ألف كتابه في ثلاثة أقسام : المبتدأ، والمبعث والمغازي .

وقد انفرد الخطيبُ البغداديُّ بقوله : " دخل محمدُ بنُ إسحاق على المنصورِ وبين يديه ابْنُه فقال : اذهبْ فصنفْ له كتاباً مُنذ خلق الله آدمَ إلى يومِك هذا، قال : فذهبْ فصنفْ له هذا الكتاب . فقال : لقد طولته يا ابن إسحاق فاختره . قال فذهب فاختره ، فهو هذا الكتاب المختصر . وألقى الكتاب الكبير في خزانة أمير المؤمنين . وقال .. صنف محمدُ بنُ إسحاق هذا الكتاب في القراطيس ثم صيّر القراطيس لسلمة، يعني " سلمة بن الفضل " ، فكانت تفضل رواية سلمة على رواية غيره لحال تلك القراطيس " .

ومن الروايات التي تثبت أن ابن إسحاق ألف كتاباً واحداً في ثلاثة أقسام ما قاله ابن النديم أيضاً : " وله من الكتب كتاب الخلفاء، رواه عنه

الأمويُّ . وكتاب السيرة والمبتدأ والمغازي . ورواه عنه إبراهيم بن سعد،  
و النفيلى<sup>1</sup> .

وتوجد روايات تثبت أنه كتاب واحد أيضاً مثل رواية ابن سعد ذكر أنه  
كتاب " المغازي والمبتدأ " والمقدس ذكره " كتاب المبتدأ والمغازي " أيضاً  
ياقوت ذكره " السير والمغازي " والمسعودي " المغازي والسير " وابن  
النديم ذكره " السيرة والمبتدأ والمغازي " والمسعودي أيضاً ذكر هذا الكتاب  
بأنه " المغازي والسير وأخبار المبتدأ "، كل هذه الروايات توضح أنه كتاب  
واحد.

ولكن توجد أيضاً روايات توضح أنه ألف أكثر من كتاب منها ما قاله  
السخاوي : " وأما قصص الأنبياء ففي المبتدأ لمحمد بن إسحاق . . صاحب  
السيرة النبوية لا وهنا نجد أنه فصل صراحة بين كتابين وهما المبتدأ، والسيرة  
ويقول ابن العماد أيضاً : " ومن كتب ابن إسحاق أخذ عبد الملك بن هشام "  
ولفظ كتب صريح هنا.

وأشار المقدسي إلى كتاب المبتدأ بقوله : " وهو أول كتاب عُمل في بدء  
الخلق " .

وذكر ياقوت " له من الكتب : كتاب السير والمغازي ، وكتاب المبتدأ رواه  
عنه إبراهيم بن سعد ومحمد بن عبد الله بن نمير النفيلى " ونجده هنا قد فسر  
لنا أكثر بين الكتابين .

ومما سبق يتبين لنا أن الروايات قد انقسمت ، منها ما يقول إنه ألف كتاباً  
واحداً في ثلاثة أقسام - المبتدأ والسير والمغازي - ومنها ما

<sup>1</sup> هو : محمد بن عبد الله بن نمير النفيلى " المتوفى سنة 234هـ " وربما أخطأ  
ابن النديم في كلمة كتاب التي تسبق السيرة والمبتدأ والمغازي ، لأن كل  
كتاب على حدة، وإبراهيم ابن سعد والنفيلى قد روى عنه كتاباً واحداً فقط  
وهو كتاب المبتدأ.

يوضح أنه ألف كتابين أحدهما في المبتدأ والثاني في المغازي " أي حياة النبي عامة "

ومما يزيد هذا الخلاف أن كتب التاريخ قد اقتبست<sup>1</sup> من كتب ابن إسحاق الكثير، فعمل هذا على تمزيق الكيان الكامل لكل كتاب ، ولِدَل على ذلك أن البكائي - وهو تلميذ ابن إسحاق - قد روى المغازي والمبتدأ معا. وربما فعل ذلك ابن هشام في السيرة حيث إنه اقتبس من المبتدأ وأضاف إلى المغازي .

ونحن نميل إلى الرأي القائل بأن ابن إسحاق قد ألف كتابين . والدليل الآخر على ذلك أن أستاذه الزهري وهو الذي نهج نهجه ابن إسحاق في تأليف المغازي والسير قد ألف ذلك في كتب منفصلة. وكما ذكرت لنا كتب المناقب كتاباً آخر لكن دون خلاف وهو

" كتاب الخلفاء " وهذا الكتاب المميز كان برواية الأموي ، وقد كان لظهور كتاب المغازي أثره على شهرة هذا الكتاب ، فيبدو أنه قد قلل من شأنه واطفاً من بريقه .

### منهج ابن إسحاق في كتبه :

استعان ابن إسحاق بالزهري " أستاذه " وبوهب بن منبه ، في وضع الشكل المفصل والقاعدة الأساسية للسيرة ؛ حيث نهج ابن إسحاق نهج الزهري في ترتيب وتسلسل الأحداث الزمنية، وكذلك منهج وهب بن

<sup>1</sup> وهذه الاقتباسات موجودة في تاريخ الطبري، وتفسير الطبري، والاستعاب لابن عبد البر، وفي فتوح مصر للواقدي، والأغاني للأصبهاني، ودلائل النبوة لأبي نعيم، وفي تهذيب التهذيب لابن حجر، ومرآة الجنان لليافعي، والروض الأنف للسهلي 000 الخ.

منه في كتاب " المبتدأ " ، وبين وهب والزهري تكوّن لدى ابن إسحاق هيكلُ كتابه في " السيرة النبوية " .

وقد استعان أيضاً ابنُ إسحاق في جمع مادته في المبعث والمغازي والمبتدأ إلى المصادر المدنية كثيراً، وقليل من المصادر المصرية، ولم يستعن بالمصادر الشرقية مثل العراق أو إيران .

وقد عارضته مدرسة المدينة لأنه خرج عن المألوف في دراسته للسيرة حيث خالفها ولم يلتزم بأسلوبها في جمع مواد السيرة، فنجده يقتبس من مختلف الاتجاهات دون حرج ، وخاصة الجزء الخاص " بالمبتدأ " فكان يستعين بما كتبه الأدباء اليهود والمسيحيون من قصص ، ورجع إلى الكتاب المقدس نفسه في بعض الأحيان ، وذلك بالجزء الخاص بتاريخ الرسالات ما قبل الإسلام .

واستعان أيضاً بالشعر والحديث الشريف والآيات القرآنية لغرض توثيق مادته التاريخية .

وقد عارض ابنُ هشام بعض ما كتب ابن إسحاق خاصة في أول السيرة الذي يعد أضعف ما كتب ابن إسحاق ، واقتبس في هذا القسم روايات وهب بن منبه ، وابن عباس والإسرائيليات ، فنجده يذكر قصص العرب قبل الإسلام . مثل طسم وجديس وأيضاً قصة الكاهنين شق وسطيح ، ويذكر روايات تحكي انتشار الوثنية عن كعب بن مالك القرظي ، ويتناول تاريخ اليمن في عصر ما قبل الإسلام ، ويظهر فيها تأثيره بالقصص الشعبي لأهل الكتاب ، وأيضاً نجده يتأثر بالقصص القرآني الذي يحكي تاريخ المسيحية واليهودية في شبه الجزيرة العربية وخاصة الجنوب ، مثل قصة ذي نواس الملك اليهودي " وأصحاب الفيل " أبرهة الأشرم الحبشي في غزوه للكعبة، وقصة سد مأرب ، وذي القرنين ونجده

في كل هذا يستعين بالقصص الشعبيّ والقرآن الكريم والشعر العربي .. ويقتبس من وهب قصة انتشار المسيحية بنجران على يد فيميون الراهب . وعندما ذكر قصة ذي القرنين قال : فحدثني من يسوق الأحاديث عن الأعاجم فيما توارثوا من علمه ... "

وكانت طريقته في تأريخ هذه القصص أقرب ما يكون إلى طريقة أيام العرب الجاهلية الأسطورية، والإسرائيليات .

وبذكر الأستاذ عبد العزيز الدوري في بحثه القيم : ومع أن أكثر أخباره دون إسناد إلا أنه يعطي أسانيداً لبعض رواياته . ففي قصة انتشار النصرانية بنجران مثلاً يورد رواية عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمر بن حزم . وفي كلامه عن حفر بئر زمزم يأخذ عن يزيد بن أبي حبيب المصري . وفي معلوماته عن الحج والكعبة يورد بعض الأسانيد، وفي كلامه عن إنذار يهود بظهور النبي يورد رواية عن عاصم بن عمر، وفي حديثه عن شعائر الحج يورد رواية عن هشام بن عروة وفي كلامه على الحمس يورد رواية هشام بن عروة، كما أنه يحاول الاستشهاد بآيات قرآنية في بعض ما أورده . ولكن بعض أسانيده ضعيفة، كما أنه لجأ إلى الشعر كوسيلة للتوثيق ، على طريقة رواة الأيام ، وأكثر منه دون تمييز، فكان ذلك ثغرة خطيرة في كتاباته . ولقد بدأ اهتمام ابن إسحاق بالإسناد عند وضع قسم المبعث ، وذلك لأن بين يديه مادة تاريخية خصبة من الأحاديث والمصادر والوثائق ، وقد انفرد ببعض الوثائق مثل وثيقة معاهدة النبي - صلى - مع القبائل ، وأيضاً مجموعات قوائم بأسماء المؤمنين الأولين ، وقائمة بالمسلمين الذين هاجروا إلى الحبشة الهجرة الأولى والثانية، وأول من أسلم من الأنصار، وقائمة بالمشركين في بيعتي العقبة ؛ وقائمة بالمهاجرين والأنصار الذين تلقوهم في المدينة، وقائمة

بالمهاجرين والأنصار الذين آخى بينهم النبي - صلى الله عليه وسلم - وبخلاف القوائم كانت أحاديثه أيضاً لا تتفق مع أسلوب أهل المدينة.

يقول الأستاذ. عبد العزيز الدوري : فحين يذكر بدء الوحي يأخذ عن عروة، ولكنه يذهب إلى إيراد روايات مأخوذة عن بعض أهل العلم ، ونرى القصص الشعبي يتداخل مع الحديث ، . وهنا يتعد كثيراً عن أسلوب الزهري مثلاً، وحين يتحدث عن وضع المسلمين عند بدء الدعوة يرجع إلى قصص مجالس السمر فيقول " وذكر بعض أهل العلم أن رسول الله - صلى - كان إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكة . . . الخ " ويورد قصصاً محلية عن موقف المشركين من الرسول ، دون إسناد، ثم يرجع ويستشهد بالآيات ، ولعله أراد أن يُسند ما ذكر بها، وحين روى قصة وفد قريش الذي فيه أن عتبة بن ربيعة استمع إلى تلاوة القرآن بصورة سرية، نجدها خالية من الإسناد وبشكل قصصي، ومثله عن فشو الإسلام في قريش ونجده يستهله ب " حدثني بعض أهل العلم " وفي كلامه صدى للقرآن والتفسير، وأثر للشعر ولا بد لنا أن ، نلاحظ أن التأكيد على الإسناد لم يكن في عصر ابن إسحاق كما أصبح فيما بعد، وأن كثيراً من المعلومات عن المغازي كانت تنقل دون إسناد لأنها معروفة لدى جماعات أو أسر.

أما الجزء الخاص " بالمغازي " - تاريخ النبي الحربي في المدينة - فقد أبرز ابن إسحاق تمكنه الحقيقي في هذا الجزء، حيث كانت القاعدة الأساسية هنا الإسناد، وقد راعى الدقة في تناوله لمرض النبي - صلى - ووفاته ، واستعان ابن إسحاق بما رواه أساتذته المدنيون ، وأهمهم الزهري واضع هيكل السيرة ودراسة المغازي ، وعاصم بن عمر، وعبد الله بن أبي بكر، الذي اقتبس منه ابن إسحاق التاريخ بالسنين ، وأخذه كثيراً عن الزبيرين وأكثر عن يزيد بن رومان ، وهشام بن عروة، وعروة بن الزبير،

ولكنه لم يكتف بما جمع من هؤلاء جميعاً، بل كان يجمع أقوال أقارب الرجال والنساء الذين اشتركوا في الوقائع .

ويذكر هوروفتس : ويستخدم ابن إسحاق منهجاً محدداً لعرض الغزوات الفعلية ج ويقدم ملخصاً حاوياً للمحتويات في المقدمة، ويتبعه خبراً جماعياً مؤلفاً من أقوال أوثق أساتذته ، ثم يكمل هذا الخبر الرئيسى بالأخبار الفردية التي جمعها من المراجع الأخرى .

والقوائم كثيرة في المغازي أيضاً ؛ فهو بدون قائمة بأولئك الذين حاربوا في بدر؛ وأخرى بالقتلى والأسرى؛ وثالثة بقتلى أحد، وكذلك قتلى الخندق ، وخيبر، ومؤتة، والطائف . . الخ .

ويقول الأستاذ عبد العزيز الدوري : " إن ابن إسحاق حاول أن يتحفظ في رواياته وأخباره حتى قبل المبعث، كان يقول " فيما يزعمون "، أو مثل قوله حين يذكر قولاً ينسب للرسول عن ذي القرنين " فالله أعلم أي ذلك كان أقال ذلك رسول الله - صلى - أم لا فإن قاله فالحق ما قال " أو كقوله : " وزعم الناس فيما يتحدثون والله أعلم " أو قوله : " فكان فيما بلغنا من حديث الأخبار والرهبان عن رسول الله - صلى - قوله "، أو مثل قوله " وحدثني ثور بن يزيد عن بعض أهل العلم ، ولا أحسبه إلا خالد بن معدان الكلاعي، أن نفراً من أصحاب رسول الله . . الخ " ويورد أحياناً ما يُشعر برأيه ، فهو يذكر قصة الطير الأبابل ثم يضيف " حدثني يعقوب بن عتبة أنه حدث أن أول ما رؤيت الحصبة والجدري بأرض العرب ذلك العام " .

وقد أتقن ابن إسحاق أسلوب القصة في رواية الأحداث وخاصة في الفترة المكية حيث قلة الإسناد، ونجده رغم اعتماده على الإسناد في الفترة المدنية حيث كثرة المصادر والوثائق والمعلومات يؤجل الأشعار

عادة إلى آخر الحدث ، مما يؤكد تأثيره بأسلوب القصاص - والله أعلم .

### وفاته :

اختلف المؤرخون في تحديد سنة وفاة ابن إسحاق ، ويدور هذا الخلاف بين سنة 150 - 154 هـ . فيحدد أقدم المؤرخين وهم " البخاري وابن سعد وابن النديم " سنة 151 هـ ، أما الروايات الأخرى فتضطرب فنجدُ الذهبيّ في تذكرة الحفاظ يورد سنة 151 هـ ويضعف سنة 152 هـ . وابن خلكان يذكر سنة 150 هـ . و 153 هـ . ويرجح سنة 151 هـ ، وياقوت يذكر سنة 151 هـ . 152 هـ .

وروى الطبري : " قال ابن سعد، أخبرني ابن محمد بن إسحاق قال : مات أبي ببغداد سنة 150 هـ . ودُفِنَ في مقابر الخيزران " ، وروى الخطيب البغدادي عن المديني سنة 152 هـ ، وعن الخليفة بن خياط سنة 153 هـ وتوجد بعض الروايات ترجح سنة 144 هـ .

ورغم كل هذا الخلاف نجدهم يرجحون تلك السنة - " 151 هـ - 768 م " لوفاته

واتفقوا على أن وفاته كانت ببغداد. وقال ياقوت في " معجم الأدياء " : إنه دُفن بمقابر الخيزران عند قبر أبي حنيفة الإمام الأعظم صاحب المذهب المتبوع . وقبر أبي حنيفة معروف بالأعظمية .

وزاد ابن خلكان " ودفن في مقبرة الخيزران بالجانب الشرقي. وهى منسوبة إلى الخيزران أم هارون الرشيد، وإنما نسبت إليها لأنها مدفونة بها. وهذه المقبرة أقدم المقابر التي بالجانب الشرقي، من دجلة في بغداد " .



رحمه الله رحمة واسعة وجزاه عن المسلمين عامة وعشاق كتابه (المغازي) خاصة خير الجزاء.

## ثانياً : ابن هشام الذي اشتهرت باسمه السيرة

### اسمه ونسبه :

هو: أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري<sup>1</sup> المعافري البصري.

المعافري<sup>2</sup> نسبة إلى المعافر بن يعفر، قبيل كبير يُنسب إليه خلق كثير بعضهم باليمن وعامتهم بمصر.

وقد اختلف في نسبه فقيل : قحطاني ، وقيل : عدناني ، وقيل : دُهلي<sup>3</sup> ، ولكن شهرته بالحميرية جعلنا نرجح أنه حميري من قحطان .

### ولادته ونشأته :

ولد ابن هشام بالبصرة - وتاريخ ولادته مجهول - وتلقى العلم في نشأته الأولى بها ثم نزل مصر. ولا يذكر الرواة عن حياته أنه عاش في

غيرهما ؛ وربما نزل أكثر من بلد، دون أن يشير إليها الرواة ج ذلك لأن طالب الحديث بطبيعته جوال ، يطوف البلاد في طلبه وسماعه .

### منزلته :

قال أبو القاسم الشَّهيلي عنه في كتاب المروض الأنف - شرح سيرة رسول الله - صلى - : إنه مشهور بحمل العلم ، متقدم في علم النسب والنحو، وهو من مصر، وأصله من البصرة، وله كتاب في أنساب حمير وملوكها، وكتاب في شرح ما وقع في أشعار السيرة من الغريب . وقال ابن خلكان : ابن هشام هو الذي جمع سيرة رسول الله - صلى - من المغازي والسير لابن إسحاق ، وهذبها ولخصها وشرحها. . . وهى الموجودة بأيدي الناس المعروفة بسيرة ابن هشام .

ويقول القفطي صاحب " إنباه الرواة " عن ابن هشام : " وهذه السيرة التي يرويها عن ابن إسحاق قد هذب منها أماكن : مرة بالزيادة، ومرة بالنقصان ، وصارت لا تُعرف إلا " بسيرة ابن هشام " وللمصريين بها فرط غرام وكثرة رواية، وعن المصريين نُقلت إلى سائر الآفاق .

<sup>1</sup> نسبته إلى حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وفي حمير بطون وأفخاذ كثيرة.

<sup>2</sup> هو معافر بن يعفر بن مالك بن الحارث بن مرة بن أدد بن الهميسع بن عمرو بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ. وفي معافر بطون كثيرة نزع بعضهم إلى مصر " الإنباه ص 118".

<sup>3</sup> ومنهم من يرد نسبه إلى ذهل، وآخرون يردونه إلى سدوس. والذهلي، بضم الذال وسكون الهاء، منسوب إلى ذهل ابن معاوية بن ثور بن مرتع، وهو بطن من كندة .

### **من اشتهر بابن هشام من المؤلفين :**

قال السيوطي في بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة : " إن الملقبين بابن هشام خلق وجماعة كثيرة، أشهرهم ثمانية، وربما سقط منه لقب لأنه ذكرهم سبعة فقط هم حسب ترتيبه :

عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري ، أبو محمد البصري النحوي نزيل مصر، مُهذب السيرة النبوية لابن إسحاق . . الخ

وتلاه محمدُ بنُ يحيى بن هشام اللخمي النحوي اللغوي السبتي، أبو عبد الله أَدب بالعربية، وله تأليف مفيدة " وقيل توفي سنة 570 هـ ."

أما الثالث فهو : محمد بن يحيى بن هشام الخضراوي ، العلامة أبو عبد الله الأنصاري الخزرجي الأندلسي ، من أهل الجزيرة الخضراء، كان رأساً في العربية، أخذها عن ابن خروف وغيره ، وأخذها عن الشلوبين ، وصنف التأليف المفيدة، وتوفى سنة 646 هـ .

الرابع هو : الشيخ جمال الدين عبد الله بن يوسف بن هشام صاحب المغني وغيره .

خامسهم : محمد بن عبد الله بن يوسف بن هشام . العلامة محب الدين بن الشيخ جمال الدين النحوي ابن النحوي ، كان أُوحد عصره في تحقيق النحو ويقال فيه : هو أنحى من أبيه توفي سنة 779 هـ . سادس المشهورين هو : أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن هشام شهاب الدين ، النحوي حفيدُ النحوي ، فاق في العربية وغيرها توفي سنة 885 هـ .

آخرهم : محمد بن عبد الواحد العجيمي، الشيخ شمس الدين النحوي المتفنن ، سبط الشيخ جمال الدين بن هشام ، كان فائقاً في معرفة العربية، أخذ عن خاله الشيخ محب الدين ، وعنه أخذ الإمام تقي الدين الشمني ، وتوفي سنة 822 هـ

كل هؤلاء وغيرهم ممن اشتهر بلقب ابن هشام كان ابن هشام صاحب السيرة أشهرهم .

وإنما ذكرناهم لئلا يختلط مؤلفنا بأحدهم ، كما يقع في ذلك الكثيرون .

### منهج ابن هشام في تهذيبه سيرة ابن إسحاق

إن ابن هشام قد أوضح لنا في مقدمته ما أحدثه من التغييرات المنهجية في تهذيبه لسيرة ابن إسحاق . فنجده يترك تاريخ أهل الكتاب من آدم إلى إبراهيم ، ولم يذكر من سلالة إسماعيل غير أجداد النبي المباشرين ، وذلك للاختصار . ونجده بعد ذلك شرك بعض ما ذكره ابن إسحاق من الروايات التي لا يرد فيها ذكر النبي - صلى - أو التي لا يشير إليها نص القرآن بشيء ، ولا تحتوي على مناسبة أو شرح أو تأكيد أي أمر آخر مروى في كتاب ابن إسحاق . ولا يوجد أي مبرر لهذا الحذف سوى الاختصار .

.. ولم يقف ابن هشام في تهذيب السيرة على سبب الاختصار بل كانت هناك أسباب أخرى منها كما ذكر في مقدمة كتابه : " . . . وأشعاراً لم أر أحداً من أهل العلم بالشعر يعرفها . . " وهنا نرجع إلى بحث الأستاذ عبد العزيز الدوري حيث قارن بين سيرة ابن هشام رواية عن البكائي ومخطوطة برواية يونس بن بكير<sup>1</sup> ذكر : " ليظهر أن ابن هشام حذف كثيراً من السيرة " في المخطوطة مثل قصائد لأبي طالب في مسيره برسول الله - صلى - إلى الشام . وقطعتان شعريتان للزبير وقصيدة لورقة بن نوفل يستبطن فيها بعث النبي - صلى - وقصيدتين لورقة بن نوفل .. الخ

أما ما حذفه ابن هشام من الروايات فقد عبر عنه في مقدمته أيضاً بقوله : " وأشياء بعضها يشنع الحديث به وبعض يسوء بعض الناس ذكره . . " ومثال لذلك حذفه مجموعة من الروايات عن علم أهل الكتاب بظهور النبي ، وأن زماته قد أطل .. الخ .

<sup>1</sup> انظر الدراسة التي قدمها لدورة مجمع اللغة العربية المنعقد في رجب 1385 ، فهي دراسة قيمة مفيدة - شكر الله له .

ويعلق عبد العزيز الدوري على هذا بقوله : " إن الكثير من المعلومات الواردة فيها قصصية أو أسطورية ولعله حذفها لهذا السبب ، ولكن القليل منها يرد بأسانيد أفضل من كثير من الروايات التي أثبتها ابن هشام " مثلا ( ص 19 ) رواية عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة حول طواف القرشيين ، ورواية أخرى ( ص 20 ) عن هشام بن عروة عن أبيه حول السعي بين الصفا والمروة " وحذف روايات عن ورقة بن نوفل ( ص 40 = 41 ، ص 46 ) كما حذف روايات مختلفة عن الرسول - صلى - قبل البعث ( ص 40 ، ص 41 ) منها رواية عن محمد بن عبد الله بن قيس بن مخرمة عن الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب عن أبيه عن جده علي بن أبي طالب قال : " سمعت رسول الله - صلى - يقول : ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يلهون به إلا ليلتين كلتاهما عصمني الله عز وجل فيهما " ثم يسرد محاولتين للهو البريء وهو التفرج على حفلة عُرس ( 7-8 ) ( المخطوطة ) .

أيضا كما قلنا فقد حذف ابن هشام حقائق علق بحذفه لها بقوله : " .. وبعض يسوء بعض الناس ذكره . . " ومثالا على ذلك النوع من الحذف ذكر يوسف هوروفتس<sup>1</sup> خبراً عن أسر العباس في بدر، ذلك الخبر الذي تركه ابن هشام خوفاً من إساءته إلى بعض الناس . وأيضاً خبر عن سرقة كنز الكعبة . وبوضح لنا ابن هشام أيضاً جزءاً من منهجه في تهذيبه للسيرة أكثر بقوله : " . . . وبعض لم يقر لنا البكائي بروايته ، ومستقصى إن شاء الله ما سوى ذلك بمبلغ الرواية له والعلم به " .

<sup>1</sup> المغازي الأولى ومؤلفوها - ترجمة الأستاذ حسين نصار .

نجد هنا أن ابن هشام كان معتمداً وملتزماً برواية البكائي وحذف ما عدا ذلك .

وقد ذكر الأستاذ : محمد حميد الله منهج ابن هشام في هامش مقدمة كتاب ابن إسحاق سبباً آخر من الأسباب التي دعت ابن هشام لتهديب السيرة وهي تكرار بعض أسماء وردت في سيرة ابن إسحاق . فمثلاً هناك أسماء من هاجر إلى الحبشة، ذكرها ابن إسحاق مرتين في يابيين مختلفين ، وحتى في داخل الباب الواحد يذكر الأسماء أحياناً مرتين . ومن منهج ابن هشام في شرحه للسيرة اتخاذه القرآن الكريم وتفسيره أساساً لإثبات صحة الروايات .

### **شهرة سيرة ابن هشام بين العرب والمستشرقين :**

يمكن القول بأن صيت ابن هشام علا منذ فترة مبكرة لتهديبه للسيرة النبوية، وبتجلى ذلك في موقف اليعقوبي الذي " توفي حوالي سنة 300 هـ " أي بعد وفاة ابن هشام بحوالي 87 سنة فقط نجده قد اعتمد على ما هذبه ابن هشام في روايته للسيرة.

وهذا الصيت المبكر أدى إلى انتشار سيرة ابن هشام مما قلل الحاجة إلى معرفة سيرة ابن إسحاق " وهي الأصل " .

وتمتد شهرة ابن هشام إلى مراکش فقد اعتمد عليها السهيلي صاحب " الروض الأنف " في شرحه للسيرة ولم يقف الأمر هكذا فقد تناوله أئمة علماء كانوا متفردين بين علماء عصرهم نذكر منهم أبا ذر الخشني الذي شرح ألفاظ سيرة ابن هشام . ولم تقف شهرة سيرة ابن هشام على العلماء العرب فقط فقد تناولها كثير من المستشرقين والمسلمين في كل مكان

منهم الأستاذ غليوم الذي لخص سيرة ابن هشام بالإنجليزية، ويبدو أنه كان يبحث عما كتبه ابن إسحاق ، لذلك نجده يحذف ويزيد عن طريق مصادر متعددة مثل الطبري وغيره ، محاولةً منه لتكملة ما حذفه ابن هشام . وأيضاً قام الأستاذ : شاطاري بترجمة سيرة ابن هشام ونشرتها الجامعة العثمانية في حيدر أباد.

وبعدها وإلى الآن ظلت باقية يتعاقبها المؤرخون والمحققون بالشرح ، ويُستخلص منها بعض الأحكام الشرعية والفقهية " فيما يُسمى بـ"فقه السيرة" ومن هنا نقول إن كثيرا من العلماء يدينون لابن هشام برواية السيرة وتهذيبها وحفظها.

### وفاته :

اجتمع الرأي في وفاة ابن هشام على المكان وهو الفسطاط بمصر، ولكن انقسم الرأي في تاريخ وفاته إلى فريقين ، فريق قال سنة 213 هـ . وفريق آخر " على رأسهم عبد الرحمن بن أحمد بن يونس أبو سعيد صاحب " تاريخ مصر " الذي جعله للغرباء القادمين على مصر قال فيه "إن عبد الملك بن هشام توفي لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر سنة " 218 هـ - مايو 4 83 م " والله أعلم بالصواب .

### آثاره :

ولابن هشام أكثر من مؤلف في أكثر من علم فمثلا بخلاف تهذيب سيرة ابن إسحاق وشرحها، نجده عالما في النسب وله كتاب في أنساب حمير وملوكها أسماه كتاب " التيجان لمعرفة ملوك الزمان " وهو يرويه بسنده عن وهب بن منبه ، وقد طبع في حيدر أباد بالهند سنة 1347 هـ .

وله أيضاً مؤلف في النحو - وبذلك كان يطلق عليه النحوي - ويذكر أيضاً  
من تأليفه شرح أخبار الغريب في السيرة .

رحم الله مؤلفنا ابن هشام وأكرمه على جميل صنعه .

كتبه محققه

**طه عبد الرؤوف سعد**



## المراجع والمصادر

- هذه بعض المراجع التي اعتمدنا عليها، فبعد القرآن الكريم وتفاسيره ،  
وكتب السنة المطهرة وشروحها - رجعنا إلى الكتب الآتية :
- الأعلام : قاموس تراجم لخير الدين الزركلي
  - إنباه الرواة: القفطي
  - أنساب الأشراف : البلاذري
  - إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب المعروف بمعجم الأدياء أو طبقات الأدياء : ياقوت الحموي
  - البداية والنهاية في التاريخ : ابن كثير
  - بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة : السيوطي
  - بغية الملتمس : الضبي
  - تاريخ آداب اللغة العربية : جورج زبدان
  - تاريخ الأدب العربي : كارل بروكلمان
  - تاريخ الرسل والملوك : الطبري
  - تاريخ بغداد أو مدينة السلام : أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي [ت 463 هـ]
  - تراث الإنسانية (سلسلة) : المجلد الأول العدد العاشر

- تذكرة الحفاظ : الحافظ الذهبي
- تهذيب التهذيب : ابن حجر العسقلاني
- دائرة المعارف الإسلامية
- دائرة المعارف النظامية : ( ط ) 2 ، 1333-1334 هـ
- الديباج المذهب في أعيان علماء المذهب : ابن فرحون
- تاريخ أبي الفدا : أبو الفدا
- دراسة في سيرة النبي - صلى - ومش لفها ابن إسحاق : عبد العزيز الدوري
- الروض الأنف : السهيلي ( من تحقيقنا )
- الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة : محمد بن جعفر الكتاني
- سيرة ابن إسحاق : جمع وتحقيق محمد حميد الله
- شذرات الذهب : ابن العماد
- ضحى الإسلام : أحمد أمين
- طبقات الشعراء : ابن سلام
- طبقات المدلسين : ابن حجر (من تحقيقنا)
- طبقات ابن قاضي شهبة : ابن قاضي شهبة
- غاية النهاية في طبقات القراء : لابن الجزري
- الفهرست : ابن النديم
- 0- عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير : ابن سيد الناس
- العبر في خبر من غير : الحافظ الذهبي
- المعارف : ابن قتيبة
- فتح القريب في سيرة الحبيب : فصح الدين محمد بن إبراهيم المعروف بابن الشهيد
- فتوح البلدان : البلاذري

- كشف الظنون : حاجي خليفة
- كشف اللثام في شرح سيرة ابن هشام : بدر الدين محمد بن أحمد العيني الحنفي ت 855 هـ .
- الطبقات الكبرى : ابن سعد
- الكمال في معرفة الرجال : الجماعيلي
- 0- مختصر سيرة ابن هشام : للبرهان إبراهيم بن محمد بن المرغل -
- المورد العذب الهني في كلام على سيرة عبد الغني : عبد الكريم بن محمد الجماعيلي الحنبلي
- مشاهير علماء الأمصار : البستي
- ميزان الاعتدال في تراجم الرجال : الذهبي
- مروج الذهب : المسعودي
- معجم البلدان : ياقوت
- نكت الهميان : الصفدي
- نفح الطيب : المقرئ
- وفيات الأعيان : ابن خلكان
- 0- الوافي بالوفيات : الصفدي

## 0- مصادر أجنبية

- J Horowitz- The Earliest biographies of the Prophtet and -  
-Their Authors . Islamic culture 1927

